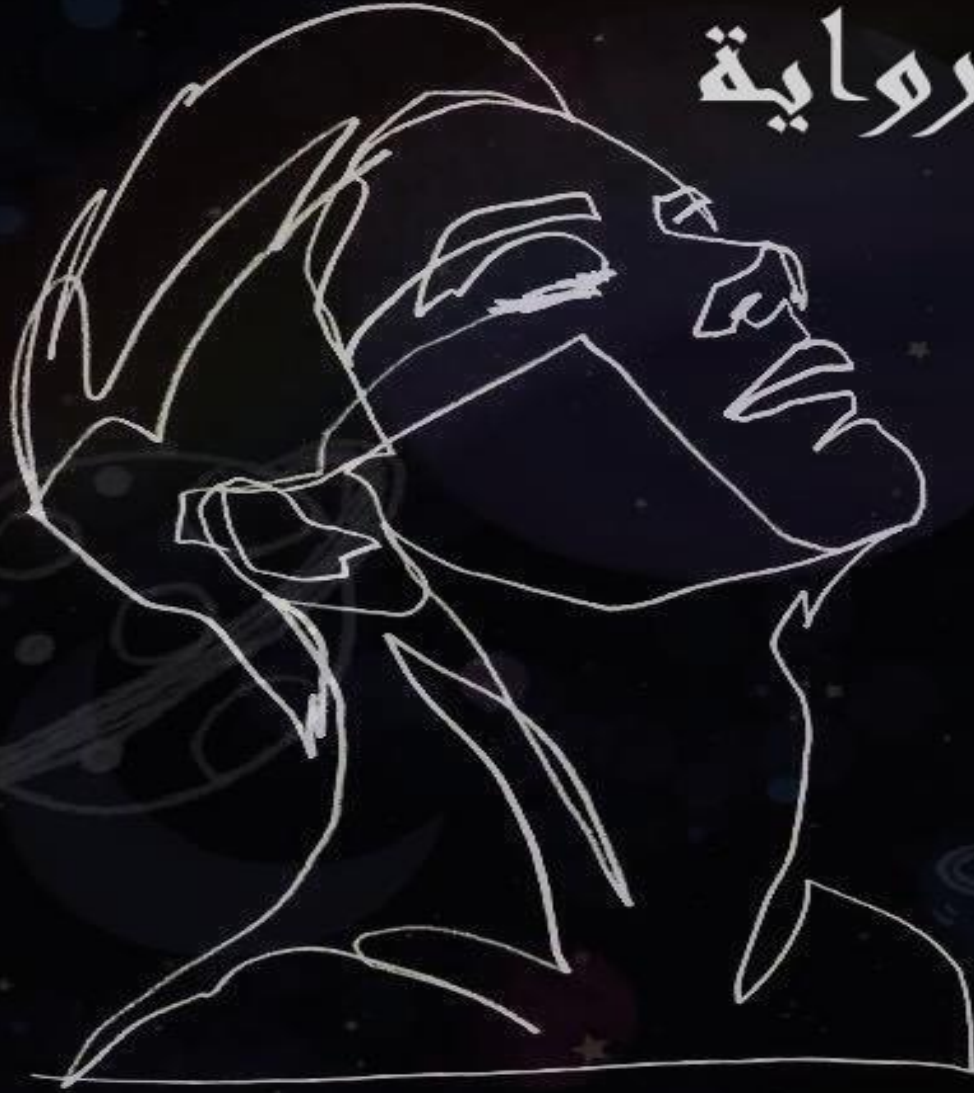


عالمي

رواية



قيس ابو شاهين نورا معروف

عالمي رواية

تأليف:

قيس أبو شاهين / نورا معروف

تنسيق:

نور طيارة

تتويه:

أي تشابه للأماكن والشخصيات مع أماكن وشخصيات في الواقع الحالي هو "محض مصادفة غير مقصودة"

حقاً إنني أعيش في زمن أسود...
الكلمة الطيبة لا تجد من يسمعها...
الجبهة الصافية تفضح الخيانة...
والذي ما زال يضحك..
لم يسمع بعد بالنبأ الرهيب..

.....

أي زمن هذا؟

برتولت بريخت

"عيادة الدكتورة ليلى..."

لما توقفت أكمل كلي أذان صاغية
-انتهى بي المطاف هنا

_ أتعبتُها أصوات الأقدام، الخوف، خوفٌ من اجتياح الشهوة بالساعات الأولى بعد الواحدة صباحاً...

من حربٍ بين الأهلِ شرَّعتُ لأفتي نكرها..

لا مفرّ مني، إنني عاشقةٌ للتفاصيل البسيطة عاشقةٌ لليالي النشوة،
للصباحاتِ المبدوءة بتفاصيل الهدوء، بصوت فيروزيٍّ، بمراقبةٍ
للشمسِ وهي تعودُ إلى بيتها بعد ليلةٍ من التهاهبها خلف قمرٍ ليضيئه
ويضيء ليالينا الحميمة لممارسة قبلات الحب تحت سماءها أو للكتابة
وخلق أبطالٍ حبريةٍ تُصنع في عالمٍ من ورق، لتكون ضحيةً لأفكارنا
البالية.

_ أقبلتُ نحوي بصدفةٍ ظننتها عابرة، لأفتش عن شبيهي القديم في

زحام الأشلء والهواجس المشتتة، بدت لي علامات الهوس المفرط
في لغة العيون بعيداً عن ستار اللغة الكاذب فاللغة ستار الحقيقة هناك
حيث لا مصطلحات لا تحريف، هناك حيث يكون "المعنى" خلف
حاجزٍ من العادات أو الكبرياء، حاجزٍ من الخوف، الخوف من
اللانمطية، خوفٌ من الإختلاف، إختلاف المبررات، إختلاف
الوجهات، خوفٌ من إختلاف الباطن.

الباطن الملتهب المفعم بالتمرد، بالعيون، مفعم برغباتٍ قد تبقى عالقة
في أزقة الذاكرة، بالعممة خلف قضبان الواقع بقيودٍ تُبنى دون إذنٍ منا
دون احترامٍ لحرّيتنا دون فهمنا "لماذا" أو "كيف"

كيف لا؟

كيف لا أفكرُ وأنا أرى انطفاء تلو آخرٍ في عيونٍ من أصادف؟
كيف لا! وقد اكتشفتُ بخلوتي مع الجدرانِ كيف نتحدّثُ إلى الجَمادِ!
كيف لا وقد رأيتُ الحاجةَ للأمانِ أكثرَ من الحُبِّ، للوضوحِ لا
للمغوضِ، للطَّمأنينةِ لا للخوفِ، للبساطةِ لا للتّعقيدِ...
كأن يُلفِتني إعلانٌ يتضمّنُ سطرينِ، تحوطهما الألوانُ الهادئةُ
كالأبيضِ والأخضرِ الفاتِحِ والأزرقِ السّماويِّ، ولكن وقف بين هذا
الإعلانِ مفعمُ الكاريزما وبينني قلّةُ انبهارِي بالأشياءِ وكأنّني أندهِشُ
لثلاثِ ثوانٍ ثمّ أكملُ طريقي أجرُّ خلفي الخيباتِ كمن لم يعرفِ الدهشةَ
يوماً... لم أكن أدري، هل لسطوةِ الوعي أم لقلّةِ الإحساسِ، أم لفقدانِ
الرّغبةِ والدّهشةِ حسبَ ما قاله "أرسطو" في فلسفةِ الدّهشةِ:
"الدّهشةُ هي أصلُ الفلسفةِ وينبوعُها الأوّلُ، أي أنّ شعورِ الإنسانِ
بالدّهشةِ يُحفّزُ العقلَ على التّفكيرِ"

كما يُقال أيضاً أن الفلسفة تضرع عند الإنسان بمراحله العمرية
لتعوده على العالم واستغراق مشاكل الحياة له.

عن غير عادةٍ بدا الجوُّ لطيفاً اليوم أكثر من اللازم ، في الحقيقة
نَسَماتُ الهواءِ التي تشتدُّ رويداً وأشعر أنّها ستصبحُ صوتَ ريحٍ
سادي، يبعثُ القلقَ إلى أرجاءِ قلبي، فبعد ليلتنا تلك لم أستطع أن

أخبرك بأن بطل القصة الممزوج بقبلات الطمأنينة والحب والنشوة، لم
تصنع سوا عجوزٍ.. أعرج.. شبه أسنانه معدومة.. عباءةً سوداء قد تمزق
الليل فيها.. وابتسامة تبعُد الطمأنينة
ولكن كما يقال:

"الوحوش ليست مجرد مظهر فظيع

ومخالب وأسنان

تولد الوحوش نتيجة الأفعال

أفعال لا تغتفر"

كالخوف مثلاً

خوفٍ من كل شيء أو من اللاشيء

كالتشتت في الأفكار والحروف

كالوهم الذي تصنعه البدايات

كالنشوة الأولى بعد طول لقاء

كالخيبة بعد كل ذلك

ولكن كيف يموت الأبطال بالقصص، كيف لا ندق الجرس ونحن
معجزة القلم، عدت أدراجي إليها، وقفْتُ ساكناً أمام مدخل البناء، لماذا
الآن؟ وماذا لو؟

لم أجد أي إجابة لتلك الأسئلة التي صدحت في رأسي، ولكن ذلك
العجوز الأخرق صاحب الابتسامة اللعين، لم يزل يحرق بنا، يحرق

بها، نعم أشعر انه يكيذ لها كما بعثر كلماتي وأصبحت تائه في
الأحرف، ولكن هي معجزة تلك القصة، ومعجزتي هي اطفأت محرك
السيارة وصعدتُ
اركض ببطء
مطمئن بخوف
كاره... بحب
اتنفس بصعوبةٍ بالغة
نعم أشعر بها
أشعر بتشتتها وانطفائها، بضياعها ووحدتها
وصلتُ أخيراً
طرقت الباب
"طريقة.. اثنتان.. ثلاث... ثم طريقة.. اثنتان "
هي الآن تعلم جيداً أنه أنا
بدأ الأمل يتسرب إلي
هي تعرف أنني اخاف أصوات الأقدام، أمّا هي فكانت تصرّ تعذيبي،
تعذيبي بأصوات الأقدام بنعومة حريرها، بزينتها، بنبيذ معتق في
وجنتيها، بلون القهوة في عينيها، بشفتانٍ تملك من العذوبة ما قد يُحيي
قِجْلَ عروقي.

فُتِح الباب، أقبَلتُ نحوها كسجين فتحت له أبواب الهوى، تبادلنا سلاماً
وقبلتين

_ كيف حال من غاب عني؟

_ لم أكن بخير

_ كيف؟

_ كنص بلا عنوان، كبيت بلا أبواب، كمقهى بلا مطر، كليل بلا سهر،
كحب بلا اكتفاء

ليكن ما كان أدخل.

حالما غلق الباب، تهت في اللازمان كما لو أنني تائه في فضاءٍ عينيها،
في فضاءٍ بيضاءٍ متمرّدة.

لم أجد نفسي سوى أن يداي قد أحاطتها، ضم الطفل لأمه، كدت اسمع
دقات قلبها في صدري، ولكن هناك شيءٌ غريب هنا

(هكذا قالت لي)

أشعر لأول مرة ان هناك مكروه سوف يحدث

_ ولكن مثلي لا يخشى (بضحكةٍ ساخرة)

فأنا الآن بأكثر الأماكن اماناً

فأنا معك

ضحكت تلك الضحكة الطفولية واضعة يدها على فهمها مع بروق
عينيها التي لطالما تأملت فيه، مع كل ذلك كنت أخشى ان أخبرها أنني

أشعر بذلك الأمر ايضاً، استندت على صدري واحتسينا كأس الحب مع
قبلةٍ اعادت اتزان عالمي
طرقت النافذة

(صمت يحيط بالمكان)

صوت الرياح الهمجي

ظلامٌ حالك كأن الصباح لن يظهر ثانية

قاطعت شرودي بصوتها القوي العذب

-أريدُ ان أخبرك سراً-

_نعم يا جميلتي

_كُلي أذانٌ صاغية لكِ.. لك أنت فقط

-لقد رأيت شيئاً ينضر لي

لم أعلم ما هو فقط رأيتُ ابتسامته التي قد تبعد الطمأنينة وشبه
أسنانه معدومة وعيناه قد مزقت كل الأمان في داخلي

لم أجبها، نظرت للنافذة فقط وانا أعلم من هو

مقاطعة لأفكاري قائلةً:

_إنني خائفة

_من أخاف صغيرتي؟

ابتسمتُ بتناقلٍ وقالت:

_لماذا يُكتبُ على العاشقين العذاب؟

_ ماذا تقصدين ؟

_ كُلّما شعرت باقترابي من النجاة، تلاحقتني ابتسامة تبعد الطمأنينة

_ ما من شيء يخيف، اقتربي هيا

_ كنت بحاجة إلى قربيه، كنت بحاجة إلى الأمان

ضعفت أمام تفاصيل الرجولة فيه، فأنا سريعة الانهزام

احتضنته بذعر كمن يحتضن أباه، اه ها انا استسلم مجدداً

كان من الصعب أن اقاوم رائحة عطره وتبعه

شعرت أنني بحاجة إلى حضنه ما تبقى من حياتي

لم أستطع أن اتفوه بكلمة، فكلماتي ولدت في فمه فكثيراً ما كان

يقاطعني بقبلة تنزع عني سواد الأيام.

بدء بوضع قبلات متتالية كمن يضع نقاطاً لنص قد يعود إليه مجدداً،

غلبني النعاس كعادتي غفوت على صدره ما يقارب العشرين نبضة،

ليوقظني بهمساته الدافئة قائلاً:

_ لن يصيبك مكروه وأنا هنا، وأنا دائماً هنا لأجلك

ابتسمت تلك الابتسامة الساحرة

باغتها بقبلة فضحكت وهنا قد عاد الأمان للمكان وغفت على صدري

كالطفلة بأمان واطمئنان، أما أنا فلم أستطع النوم، لماذا هي؟

(لا تأذيها أرجوك)

أناشد راجياً ولا أعلم لمن جل ما اعلمه هو ان حبي لها هو من أعاد

الأمان بقلبها وغفت... وأنا لن أخيبها ما حييت

الساعة السابعة صباحاً

خبر عاجل: نشوب حريق في عمارة ورجال الإطفاء لا يستطيعون الوصول للداخل

قبل 5 دقائق...

أنا أعاني من حساسية اتجاه الروائح والدخان حيث اسعل لفترات طويلة، استيقظت وأنا لا أستطيع التقاط انفاسي ولا ارى سوى الدخان الأسود أمامي

(حريق... حريق... حريق)

سمعت الناس تصرخ هكذا

لم أعلم ماذا سأفعل حضنتها وبدأت الركض

لا أعلم اذ كان هناك مخرج آخر، سأكمل يجب ألا يصيبها مكروه نجونا، لكن الغريب بالأمر أن هناك دخان قد خرج مسرعاً ولكنه يشبه ذلك العجوز حيث نظر لي وابتسم

ماذا يحدث يا الله؟

في الحقيقة لم أكن أملك من القوة ما يكفي لاستيعاب ملامحها وهي خائفة، لقد غادرتنا الطمأنينة مجدداً، أمسكت بذراعها بقوة ونضرت إلى عيناها _ ما بك؟

_ لا أدري، كلما وصلت إلى أعماق الهوى كلما اقترب مني الجشع،
العيون الفارغة، ضعيفة أنا في وجه الحياة

_ ومن قال أن الحياة تسير بما تشتهي سفننا؟

_ كيف لا؟

_ يا جميلتي، في مجتمعنا قد تُسلب الطمأنينة، الحرية، الحب!

ولكن لا تسلب الأحلام والأهداف.

_ حقاً!

_ ما هدفك أنت؟

_ أنت!

_ إذاً لنعيد الأمان مجدداً!

اقتربت منه فأنا أعترف أنني ضعيفة أمام تفاصيله، أمسكت بيده وذهبنا
لكي نعيد ترتيب المساء.

أغلقت الستائر وأشعلت الشموع، ومررت عليه بقبلة، ثم أكملنا؛
أحضرت اصيصاً أبيضاً وحملته الياسمين، كأسين من الفودكا، و
"frank Sinatra" وقبلات كثيرة؛

_ يا صغيرتي المدللة

"ابتسمت تلك الابتسامة السحرية"

_ أه كم احب تلك الابتسامة

_ أريد ان اخبرك بشيء

-ماذا يا عزيزي

_سأبقى معك دائماً ولن أجعل اي مكروه يصيبك

-هل هناك شيء لا أعلم به أنا؟

(باغتها بقلبة)

_نعم... اياك أحب

ضحكت تلك الضحكة التي تبعث الأمان واطعة يدها على فمها، ولكن تلك اللحظة لم تكتمل، أصوات إطلاق نار

(صراخ... صراخ... صراخ)

ثم صمت

طُرق الباب

طريقة.. طرقتان.. ثلاث.. ثم. طريقة.. طرقتان

-ما لذي يحدث (نظرت لي وعيناها غارقة بالخوف)

_من في الباب (بصوتٍ جهوريٍّ يمتزج بالخوف الباطن)

طريقة... اثنتان.. ثلاث.. ثم طريقة.. اثنتان

نظرت لها، نظرة الأب لطفلته الوحيدة

بخطى ثابتة أسير نحو الباب

طرقتان... طريقة... ثلاث... طريقة

_ماذا؟

ذهبت مسرعاً، ولكن لم أجد أحد سوى رسالة كُتبت فيها سنأخذها منك؛
لم أدري ما كان يجب أن افعل لماذا هي، لماذا حلمي، أغلقت الباب
عدت إليها مطأطئ الرأس؛

_ من كان هذا ؟

نظرت إليها وأمسكت يداها المرتجفة وشددتها نحوي بقوة وخوف،
خوف من فقدان، الحب، العتمة، خوف من الذكريات _ تعلمين؟

_ ماذا ؟

_ إنني أخاف الوحدة، والفقدان

_ لماذا هذا الكلام؟

_ ربما لفرط حبي، ربما لفرط جمالك

ربما لأننا مجبرون على دفع ضريبة مرغمين كالعبيد

كنت منكسر الملامح أجرّ خيباتي بيدي، لم أستطع البقاء، ودعت قلبي
بقبلتين وغادرت

_ أغلقت خلفه الباب مستودعه أحلامي بين يديه كأنثى تودّع حريتنا
لتسجن عبيدةً لعجوزٍ ذو عباءة سوداء، جلست منهكة على الأريكة،
منهكة الأفكار والأفعال، منهكة الملامح .

غادرتني الطمأنينة عندما قررت الخروج من المنزل، امشي ببطء،
كان الجو ماطرًا بخفة، جميل، ها هو مزاجي بدأ بالتحسن!

ولكن أرى داخلي التعب، تشتت الأفكار، ألم في الرأس، ضجر من
الأشخاص، الأماكن الحياة، ألمها، غدر الأهل والأوطان، غدر

الغرباء، غدر النفس لصاحبها، كعادتي أنا الآن تكتظ في داخلي الأصوات.

صوت أمي، صوت جميل عذب، صوت نادل المقهى، صوت أشخاص لا أعرفهم.

ماذا حل بذاتي؟

دخلت إلى الحانة القريبة، أناس كثيرون هنا وهناك، منهم من يحتسي الخمر ليهرب من واقعه، ومنهم من يحتفل، ومنهم كي ينسى، كل واحد هنا يقتل نفسه بطريقه ما، ولكن ما كان يجمعهم، كانت الوحدة، البؤس والظلام يحاوطوا المكان؛

ما الذي يحدث؟ أين ذهب الجميع؟

بخطي هادئة تقدم رجل عجوز نصف أسنانه مفقودة ولديه عشر شعرات غريبة في ذقنه يرتدي عباءة سوداء يتمزق الليل فيها.. ولديه صوت أشبه ما يكون بصوت الأفعى؛ وبرغم أن عيناها قد اتسعت فيه لثانية إلا أنهما غضبتا في الثانية التالية واستعادة قلبي جأشه وتحفرت عضلات ساعدي وهجمت على العجوز هجمة تائرة بكل ما أتيت من حق وقوة، حق الحب، حق العيش، حق الحرية.

ماذا؟؟؟؟

لم يتحرك من مكانه قيد أنملة ولم تطرف عيناه طرفة، بل كان ينظر بسخرية إلى هجمتي التي مددت يدي لأمسك بتلابيبه ولأرديه حيث أرديه، لكن هجمتي تلك لم تنتهي إلا بعظيم اتساع عيناها

كيف؟

أنا لا أصدق ما أراه، لقد مررت منه كما أمر من الهواء، التفت بحدة إليه لأجده واقفاً في موضعه ناظراً بعينيه الساخرتين إلي نظرة هزت كياني _ أي إنسان هذا _ حاولت الهجوم مرة ثانية، ولكن نظرة العجوز تحولت إلى نظرة مخيفة وسَّع فيها عينيه بغضب ثم نظر إلي نظرة واحدة كانت كافية بأن تثبت الرعب في خلايا جسدي، تقدم إلي بخطى ثابتة، وقال بصوت كفحيح الثعابين ونار الحقد تخرج من جسده:

- لا تزعج نفسك بالتفكير بعقلك القاصر فلا مهرب لك مني هه

_ رفعت ذراعي أمام عيني محاولاً تخفيف وهج النيران عليها وقلت:

_ من... من أنت يا هذا؟ وماذا تريد مني؟

قال لي ببطء حاد:

أريدُ حرّيتك

_ بأي ذنب تسلب حقي؟

إنني عاشق الاستعباد، استعباد الحب والحرية، استعباد السعادة

_ بضحكة ساخرة ممزوجة بالخوف من أنت يا هذا لتستطيع أن تأخذ

حرّيتي، أنا رجلٌ حرٌ ولدتُ كذلك وسأبقى كذلك لا أحد يستطيع

تقييدي، أما من أحب فلن أجعلك تمسُّهم بشيء

تحول وجهه من عجوز إلى وحش

وجهه يستطيع أن يُميت كل من ينظر له من شدة الخوف الذي يزرعه

بصوت يشبه لحظة الموت قال:

- اذهب واختلي بنفسك، فالوحدة مصيرك، مصير كل حر وعاشق،
عليك أن تعتاد هذا، فأنا باق خلف جدرانك، في عقلك، في ملابسك في
كتبك، استسلم فلا مقاوم لي

رحل امتلأت الحانة

_ أين كنتم منذ قليل؟

- لقد اكرت من الشرب يا هذا فلتذهب إلى البيت

- لم نرحل إلى أي مكان مازلنا هنا ولكنك اكرت من الشرب

_ حسناً حسناً

- هذا الرجل إنه يهذي بالكثير

(صوت ضحك في الحانة)

- فلتخبروني ماذا كان يشرب ذلك الأخرق لعله يفعل الكثير

اغادر مسرعاً، دوارٌ يجتاح رأسي، نظرت إلى نفسي في زجاج المحال
التجارية، متأمل ملامحي المتعبّة، حساسية جلدية مفرطة تظهر في
وجهي بعد كل صراع مع نفسي لتذكرنني بتعداد الخيبات، ليل تحت
عيوني، فمن ذا يهزم جموح الخيل في داخلي؟

بأي ذنب أخاف؟

أنا من أسافر في عقلي نحو الوعي والحرية، أنا من لم تغادرني
الابتسامة يوماً..

أنا من زرعت الطمأنينة في قلوب من حولي، وأنا فاقد، كما يقال:
"فاقد الشيء يعطيه"

فمن ذا يحارب الأمان في داخلي ومن يقاوم رزانة أحلامي
عجوز شبه اسنانه معدومة؟
أم أهل ووطن؟
أم خوفي الدائم من العيون؟
لن أخشى شيء، وبعد كل ليل هناك إشراقة جديدة تبعث روح البدايات
فينا.

امسك هاتفي لأخبرها بأنني قادم، فمن ذا الذي ينسيني شقاء الحياة
والمها سواها
منتظرٌ صوتها الدافئ مع كل رنةٍ، سمعت ما لم يكن بالحسبان؛ صوت
فضٍّ شنيع
_ من أنت؟

_ ألم أقل لك يكفي تفاهة وغباء؟
ها انت الآن ضائع كرماد اغتاله الريح!
كطفل بلا أبوين، وكوطن بلا أمان
كرغبة دون حبيب، كحب بلا نصيب
_ يكفي، يكفي أرجوك

أنهيت المكالمة وذهبت مسرعاً، أتمنى ان يكون كابوس وأن استيقظ
الآن
طرقات... طرقات... طرقات

طرقات... طرقات... طرقات

انفتح الباب واخيراً، ارتمت علي كطفلة مدللة رأت ابيها بعد طول غياب، شعرت أنني استيقظت من وهمي، عانقت دقائق قلبها قلبي وكأنها في صدر واحد، تحتاج الحديث الطويل والأمان، عادت لي الحياة، اه لو تعلمين كم الحياة صعبة دونك وكيف أن ضحكك هي الأمل الوحيد لي في هذه الحياة، أحبك

والآن ادخل

_ كيف حالك

_ اشتاقك

_ ما كل هذه الملامح المتعبّة؟

_ وكيف لي أن اكون بخير؟

كيف لأنثى هنا أن تكون بخير؟

_ وما المانع؟

نحن يا سليمان نخاف

_ ومن ماذا نخافون؟

_ نخاف من كوننا مُستضعفين، نخاف من ملامحنا، نخاف من مجتمع

يُطارِدُ أنوثتنا، نخاف من نظرة أبٍ وغيره أخٍ، وسطوة مجتمعٍ

نخافُ العنف، نخاف الذل والقهر، نخاف مجتمعاً مكتظّ الفساد، نخافُ

من أقدام تلاحقُ دروبنا

نحن نخاف، نخاف ونخاف..

_ إهدئي يا ملاكي، ومن قال أنك مُستضعفة؟ ومن قال أن الملائكة
تؤسّر؟ ومن قال أن عيونها تذبّل؟ ومن قال أن نيرانها تخمد؟
_ اقتربتُ منه وأمسكت بيده

_ مريم، مريمٌ حديقةٌ قلبي، وعطرُ الوردِ، ورائحةُ الجنّةِ، ومؤنسةُ
الوحدةِ، أنا أخشى، أخشى الخساراتِ، أخشى الفشلِ، أخشى أن اهزم
أوهل سليمانُ يهزم؟

_ همستُ في أذنها "ليس ومريمُ الوطن"

وضعت رأسي على صدرها، كان قلبها سريع الخفقان وحنّنها دافئ
وعيناها ناعستان، وأنفاسها عميقة إذ أشعر بصعودٍ وهبوطٍ رأسي في
كل شهيقٍ وزفيرٍ؛ شعرتُ بغيره حريراً برتقاليّ يُزيّنُ مفاتيحها وأنوئتها
التي طغت على كل أنوثة قبلها؛

_ والآن يا سليماني هل لي أن آخذ وعداً سرمدّيّ؟

_ يحقّ لأميرتي ما لا يحقّ لغيرها...

_ أريد البقاء بقربك، امضي باقي أيامي معك اشرب من عيناك خمري
واتلذذ من شفتاك العسلِ

نحتسي الحب على مهل، وتحلو لنا ليالي السهر

لا مكاناً للبعد بيننا

لا أريدُ البعد لا أريد الخسارة

_ لا تقلقي يا صغيرتي سنجد حلاً لكل هذا

_ كيف؟

كيف لا ؟

ليس هناك من صعبٍ عندما نكون سويًا

ما دام عطرك فوّاح في قلبي سأقاوم.

وهذا ما أريده.

أما ذلك المسخ اللعين فإن الحرب معه قد بدأت.

عاد لي الأمان، حب النجاة، المقاومة، الثبات، حبها الذي لم يغادرني لحظة؛

يجب. عليّ المغادرة في أقرب وقت..

سأنتظرك لا تتأخر في المرة المقبلة.

قبلاً وداعٍ وحضنٍ دافئٍ ونظراتٍ مليئةً برغباتٍ تختبئ خلف ستار اللّغة

الفصل الأول

قدوم فينوس

"قد ينتهي طريق عند بيت منعزل
إلا طريق العشق
العشق نهر
اشرب منه"

جلال الدين الرومي

رياح... كم أكره الرياح

عندما كنت صغير كنت أخافها، كبرت وكبرت بداخلي هذه الهواجس،
في كل يومٍ عاصفٍ يحدث لي مكروه، لا أدري ما الرابط ولكن صوتها
يخيفني، غبارها المزعج، لون السماء بعدها، وكأنها ريحُ غضبٍ، ريحُ
ثرثرةٍ بالية لا معنى لها، ريحُ حقدٍ وتمردٍ..

اه كم سيتباطئ الزمن إلى حين نهايتها، لا يهم لإتناسي قليلاً؛

صوت رنين الهاتف

رقم مجهول

_ مرحباً يا سليمان الجميل (صوت أنثوي يرق له الصخر)

- من المتصل؟

_ انا فينوس يا حبيبي

- فينوس؟

_ من فينوس؟

_ وماذا تردين؟

- اريد أن أقابلك في المقهى الذي بجوارك، فلتأتي وستعلم من أنا يا
جميلي

_ حسناً... أنا قادم

_ الفضول بداخلي كان يمزقني، وكيف حصلت على رقم هاتفي؟

أهذه خدعة من خدعك يا عزيزتي؟ حسناً سأذهب وأتأكد بنفسني

_وصلت إلى المقهى المجاور لي

النادل بلهجة مريية:

-اهلاً يا سيدي إنها هناك تنتظرك

_حسناً شكراً لك

_من هذه؟

إنها آلهة للجمال

_ولكن ماذا تريد مني؟

_مرحباً

-اهلاً اهلاً يا حبيبي

-لما استغرقت وقت طويل للوصول إلى هنا

_من أنت يا هذه؟

-انا فينوس يلقبوني بآلهة الجمال لان حسني بين كل النساء كحسن
الإله

ورجل مثلك لا بد انه لك رغبات مثل كل الرجال

مثل كل البشر

وانا معجبة بك. جداً

_بضحكة ساخرة ماذا؟ معجبة بماذا؟

انا أقدر لك هذا الشعور ولكن يوجد في هذه الحياة فتاة أحبها فشكرا
لك

(وضعت يدها على يدي وبدأت بتحريكها)

_توقفي توقفي، ما الذي تفعلينه أنت؟

أنا أحبها ولا أريد سواها، لا تتصلي مرة أخرى الى هذا الرقم، سوف أخرج الان وأتمنى أن لا تحولي مضايقتي

-نظر إلي بلا اكتراث... يا إلهي إنه يشعرني أنني نكرة

سأريك ماذا أستطيع أن أفعل أيها الوغد

_ماذا أين رحل الجميع؟

_أنا أتذكر ذلك المشهد الخبيث، إنه ذلك المسخ من أرسلها

-ما بك يا عزيزي أصبحت تتصبب عرقاً

خلعت عني ثوب الحياة وظهرت أمامه كما ولدتني أمي، والآن
أستطيع المقاومة هه

-نظر لي بعيناه الثاقبة، نظر إلي وجهي، فقط الى وجهي

ثم قال بهدوء جاد:

-أذهب الان إلى من أرسلك خيراً لك من البقاء لأنني سأرسلك جثة

هامدة له إن لم ترحلي، وقولي له أنني لست من الرجال الذين تتحكم

بهم شهواتهم كالكلاب

وبخطى ثابتة سرت، نعم كان من الصعب الصمود أمامها لكنني أحب

مريم، نعم أحبها، بالرغم من أن الخيانة أصبحت عادةً عند بعض

الأشخاص في زماننا، والوفاء أصبح معيب، ولكن يبقى الاكتفاء

والصدق ما يميز حبنا، ولن أجعل هذا الكم من الفساد أن يبعثني؛
خرجت من المقهى، ولكن نيران الغضب قد أحرقت المكان، إنه ليس
قولاً مجازياً لكي تفهم يا عزيزي القارئ، بل إنها نيران حقيقة قد
أحرقت

المكان وخرجت منه دخان الحقد الأسود بهيئة ذلك المسخ
لن تنتهي المعركة هنا

بصوت هز أركان المدينة قالها

يا الله... أناشدك يا الله بكل ما أتيت من قوة

ما الذي يحدث؟ هل ارتكبنا خطأ حين أحببنا؟

المجتمع... العادات والتقاليد، الجميع يحاربنا

اقسم بك يا الله أننا لم نفعل شيء سيء وصاياك

(صمت)

صدحت بعقلي الآية الكريمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "لا تخف ولا تحزن إنا منجوك"

كان هناك طاقة عظيمة قد زرعت داخلي، نعم أستطيع مواجهة كل

شيء، فكانت أمي تعلمنا أنا وأخي ونحن صغار:

" ثقوا بالله وحده، وواجهوا الخوف، لا تضعفوا أمام مخاوفكم، فإذا

واجهتم الخوف تصبحون مخاوفاً له "

" في وقت اخر "

فتحتُ الهاتف واتصلتُ بسليمان .

رنة.. اثنتان... ثلاث ..

رنتان.. ثلاث..

رنتان.. رنة..

بدأت تجتاحني الأفكار، ليس بالعادة، ما به، أهو بخير؟

أبعدت هذه الغيمة من على رأسي، وجلست أنظر إلى الساعة

كانت تشير للواحدة ظهراً، قررت وأخيراً الذهاب إليه بنفسني

فبدأت أشعرُ بتراكم الشوق في داخلي، لا يهم ذهبت إلى الخزانة،

ارتديت ثوبي الخمري المحبب لسليمان، وضعت قليلاً من مساحيق

التجميل وأحمر الشفاه الخمري، تأملت انوثتي في المرأة وضعت

عطري وخرجت؛

اقتربت من المنزل

_ لأخرج الهاتف واتصل بسليمان

اوه، لقد نسيت الهاتف، تبا!

لا بأس، سأكمل طريقي، وصلت إلى بيته، صعدت درجة، سرت نحو

الباب

طرقته طريقة، اثنتان

ثم طرقتان، ثلاث

ما من أحد

ما من صوت

أيمكن أن يكون في الحانة المقابلة؟

أم نائم، ام خرج مع صديقٍ له لمشاهدة مباراة؟

أم.. أم... أم؟

بعد معركة مع "أم" والتفكير والتساؤلات قررت الرحيل، عدت

أدراجي أجرّ خلفي الخيبات، أفكر فيما قد بقي من انوثتي

شعري المصفوف بعناية، وقد أتلفته الرياح السادية، ثوبي الذي يكاد أن

يطير عني، كحل عيني الذي يتلاشى شيئاً فشيئاً من حرقه دموعي،

من الأرجح ان اليوم ليس لي، وصلت إلى منزلي أمسكت هاتفي ولم

أرى أي رسالة او اتصال، رميت الهاتف على الطاولة، وخلعت ثوب

الملاك عني وبعثرت شعري وجلست على سريري مقلوبة الملامح

مشوشة الأفكار

_ أين هو ؟

_ لماذا لم يجيب ؟

بعد ثلاثة وعشرون تكةٍ للساعة، وإذا به يتصل

_ أين كنت ؟

_آنسة مريم، انا جارُ سليمان ونحن الآن في المستشفى بسبب حادثٍ بسيطٍ ، لا تقلقِ سليمان بخير، ولكنه بحاجة الآن احضرِ حالاً أرجوكِ، الطابق الثاني الغرفة الرابعة.

_اغلقِ المكالمة

_اغلقت ابواب قلبي

ارتديتُ شيئاً من الأرض كانت ثيابي المنزلية لا أدري ما ارتديت كانت ثياباً أشبه بستار المطبخ الخاص بجديتي، ولكن لم أملك من الوقت شيئاً حتى للتفكير أهو حلم أم واقع!

" في وقت آخر "

-كيف علمت بكل هذا؟

_ هي من أخبرتني

-حسناً، لتكمل

خرجت من البيت بجنون، وصلت إلى المستشفى الطابق الثاني الغرفة الرابعة

_سليمان، ما بك، ماذا حدث

_ اشتقتك كثيراً

_ سليمان أجبني ماذا حدث ؟

_ كنت في طريقي إلى المنزل وإذ بي أشعر بصدمةٍ من خلفي وسقطت
أرضاً

وها أنا الآن بخير لا تقلق

_ اه، وكيف لي أن لا أقلق، لماذا لم تنتبه ما بك

_ ليس بالأمر المهم وأنت ماذا...

قطعت جملة فتاة دخلت الغرفة دون إذن منا

_ اوه سليمان ما بك، ماذا حدث لك يا حبيبي

نظرت لي بسخرية وأكملت

_ لقد انتظرت قدومك للعشاء اليوم، ولكن لا بأس سلامتكم يا حبيبي

_ من أنت يا فتاة، أذهبي خارجاً، نحن لسنا في فيلمٍ دراما ولنسنا في
مشفى للمجانين أرحلي

في هذه اللحظة لا أدري ماذا شعرت، وجدت نفسي قد أمسكتُ بشعرها
الطويل بيدي وأخرجتها من الغرفة وذهبت بها خارجاً

_ من أنتِ

_ أنا فينوس، أنا من سجدت لي رجال الأرض، انا من تاه في بحر

جمالي الكون، انا حبيبة سليمان

_ بأي حقٍ تناديه هكذا اصمتِ أو سأقتلكِ

_يا جميلة أنا وسليمان عاشقون مقيمون، هو صديق القلب والسهر
والحب والقبلات، من أنت لتقفي أمام فينوس، من أنت ؟

لم أدري ماذا فعلت، بكل ما اتيتُ من قهرٍ صفعتها على وجهها بقوة
وإذا بي أرى دخاناً أسوداً يخرج من وجهها وسمع صوتها كصوت
يشبه صوت الافةي، وبدأت عيناها بالاحمرار ووجنتاها بالاشتعال
وكأنني أرى وحشاً أمام عيني

قالت لي بصوتٍ مخيف:

_ستدمين أيها الحمقاء

شعرت بالخوف والدوران

تمالكت نفسي

واختفت فينوس وكأنني في كابوسٍ مريع

لا أدري ماذا حدث

اذكرُ أنني سقطتُ أرضاً ولم أعد اعي شيئاً حولي

لا أرى بوضوح

كأن ثقلَ الدنيا يقبع على صدري

(شهيق... زفير)

اتنفس بصعوبة

هناك أقدام تتجه نحوي

يسيرُ كالمنتشي ذلك الأخرق، يتمايل بين الجدران، وها هو يسقط

تباعاً، ان آخر ما رآته عيني

كان وجه سليمان مقابل وجهي بعد أن سقط على الأرض

"بعد مدة من الزمن"

أحاول فتح عياني

التفت لأرى سليمان الجميل ينظر لي ويبتسم وهو مستلقي جانبي على

السريـر الأبيض

أمسكت يده بشدة

كأـم تخاف من أن يتوه ابنها

-الحمد لله على سلامتـك يا جميلة-

(هكذا قال لي الطبيب مع ابتسامة خفيفة على وجهه)

-كيف تشعرين الآن؟

-بأحسن حال مع ابتسامةٍ تعـتلي وجهي

للحقيقة أنا لم أكن بخير بفضل ذلك الطبيب، لا، أنا أصبحت بخير

عندما رأيت وجه ملاكي الجميل

سليمانـي حبيبي، هو دوائي وبنظرةٍ منه أصبحت بأفضل حال

_ هل نستطيع الخروج من المستشفى الان أيها الطبيب؟
نعم، ولكن سليمان لم يشفى شفاءً تام، ولكن حالته مستقرة الآن،
يستطيع الذهاب لكن عليه أن يستريح، وإن احتجتم لشيء فآنا
بالخدمة

_ كم كان لطيف ذلك الطبيب

_ هيا بنا يا حبيبي

ألم تشتاق لي ولتلك الأريكة التي لطالما غُفوت على صدرك عليها؟
قبلة.. قبلتان

-مريم، أحبك دائماً

إلى أن يختفي العالم، ونصبح تراب، إلى يوم الحساب، سأبقى أحبك
_ وأنا أحبك ايها الطفل المدلل هه بضحكة أم حنون ترا طفلها يتألم
ولا تعلم ما الذي تفعله

هيا استند علي، وأنا من سيقود اليوم

وأخيراً وصلنا

هي فلتجلس وتخبرني

من تلك؟

-من؟

_ فينوس... من تلك وهل لها علاقة بذلك العجوز الأخرق؟

-عزيزتي

لن يأخذوك مني ولن يأخذوني منك، ثقي بهذا الأمر، أما الآن أريد أن
أضع راسي على كتفك، أريد أن أعود إلى وطني، أريد أن أبقى معك،
أريد أن أفتح في قلبك

أن أنبت وأترعرع بين أضلعك

أريد أن أتطرّ برائحتك، وأن اتكى على صدرك

وأنتشي منك وفيك

اه كم اشتقتك

_ ليس لي إلاك، سواء قلبك وعيناك

تائهة أنا بين هذا السواد

أفتش عنك ليس سواك

أبحر في قاع الشيطان

أطير إلى بديع السماوات

-تعجبت من بلاغتها وكلامها الغير معتاد

اقتربت منها وهمست لها "أحبك"

ابتسمت وقد سحرت بمبسمها

_ هيا الآن فلتخبرني من فينوس!

عقد حاجبيه، وبدأ وجهه بالإحمرار

تشابكت أصابعه ببعضها وأصيبت بالرّ عشة

_ ما بك عزيزي ؟

_مريم... أنا متعب، متعبٌ وخائف

لا يوجد من يفرقنا، ولكن يجب أن نبقي أقياء

أنا أخاف أن تضعفي أنت، أن تتعبي من هذه الدّوامة، من هذا القاع
القدر

أخاف عليك من نسمةٍ تلاعبُ شعرك الفاتن

أخاف ذبولَ عينيكِ

_ولكن أنا لن أضعف ولن أستسلم، أنت رهاني وهدفي، وإنني جديرةٌ
بالوصولِ إلى حلمي

والآن أنا اسمعك، أخبرني هيا

_فاجأني إتصالٌ غريب حالما أجبت قالت لي أنها تريدُ لقائي في
المقهى المقابل للحديقة العامة

لم أرفض، ذهبت

قالت لي أنها تريد رجلاً مثلي، قابلتني كما ولدتها أمها، لم انظر سوى
لوجهها اقسم لك، لم انظر سوى لأفعىٍ سوداء بجلد انثى رقيقة، ظنناً
منها أنني سأتوه بتفاصيل مفاتنها، لم تكن بريئة، لم تكن سوى شرٌّ
بهية فتاة، لماذا كل هذا، ليس هناك من يريد أن يراني سعيد، كان
الحظ العاثر يرافقتي أينما ذهبت، ولكن..

أوقفني طرقُ الباب

طريقة.. طرقتين... ثلاث.. ثم طريقة.. ثم ثلاث

من ذا الذي سيأتي بهذا الوقت

_ لا أعلم يا عزيزي لكن سأفتح الباب

-ابقي هنا أنا من سيفتح

بخطى ثابتة ذهبت

كان جسدي يؤلمني قليلاً ولكن فضولي وخوفي على مريم يدفعوني إلى الأمام فتحتُ الباب والافتاة تحضنني بقوة، لم أرى سوى مريم قد أصبحت بجانبني بسرعة الضوء وعيناها تخرج النار من شدة غضبها دفعتها عني بقوة

_ من انتِ أيتها الفتاة

(بصوتٍ ممزوجٍ بالحيرة والغضب)

_ ماذا؟ فينوس؟

ماذا تريدان أيتها الامراة

"بضحكة خبيثة ضحكت "

-أريدك

نظرتُ لمريم وقبلتها

_ اياكِ أحب

"صراخ... صراخ "

بدأت فينوس بالصراخ مع كل قبلة وعناق بيننا إلا ان تحولت إلى دخانٍ أسود وصوتٍ صدح في المكان

“سأعود لكم... سنفرقكم... إن الحُب محرمٌ في هذا الزمان... إن الوفاء خدعة... إن السعادة زائفة... سوف تفسد لا محال... ونحن من سوف يفسده”

لم يعد هناك أي أثر لهم
ضحكت بصوتٍ قد سمع بأرجاء المدينة من قوته ورافقتني ضحكة
طفلتي معي
أحبك... أحبك... ولن أجعل أي مكروه يصيبك يا جميلتي
عانقتها بشدة... بخوف... بأمل... بحب
أحبك دائماً

تَمَّت

الفصل الثاني

العودة للوطن

في أواخر الشهر الثالث
بعد شتاءٍ قاسٍ مليءٍ بالجدالات والأحاديث التافهة
قررت أن اذهب إلى المقهى القديم في آخر البلدة
أذكر أنني اعتدتُ الذهاب إليه، كانت تفاصيله تلفتني، رغم التطور
المستمر في هذه البلدة إلا أن هذا المقهى الوحيد الذي حافظ على
تفاصيله العريقة
للصراحة، أذهب إليه كلما اشتقتُ الشام
أمسكتُ هاتفي واتصلت بسليمان
_ صباح الخير لحبيبي
_ صباح النور حبيبتي
_ أراكِ صاحبة باكرًا اليوم!
_ شعرتُ أنني بحاجةٍ لبدايةٍ جديدةٍ
_ إذاً فلنبدأ معاً
_ في الحقيقة اتصلت بك لأنني بحاجة للذهاب إلى المقهى القديم
_ إذاً لنذهب سوياً!
_ سأحضر لبيتك ونذهب معاً
_ ألقاكِ بعد ساعة..
انهيتُ المكالمة وحضرت فنجان "القهوة السّادة"
رتبتُ السرير، فتحتُ النوافذ وشرفة الغرفة،

جلست مع نفسي قليلاً ارتبُ بعض المشاريع في رأسي حالَ انتِهائي
دخلت الغرفة مجدداً ارتديتُ ثياباً كانت بسيطة ملائمة لمثل هذا المقهى
فقد كنتُ احضرتها من الشام قبل أن آتي للدراسة هنا

فردتُ ضفيري ووضعتُ قليلاً من مساحيق التجميل، فقد كان التجميلُ
أحد هواياتي المحببة، وضعتُ عطري اللطيف، تأملتُ أنوثتي لسبعِ
دقائقٍ وخرجتُ؛

وصلت لبيتِ سليمان، رأيتُهُ من بعيدٍ ينتظرني عند بابِ البيت

_ ادخلي حبيبتي

حضنتهُ بشوقٍ وقبّلتُهُ

_ اشتقتكِ

_ وأنا أيضاً

_ هيا بنا

أغلقتُ الباب، أمسكتُ بيدها وذهبتنا

_ أتعلم، اشتقتُ للشام

_ وأنا أيضاً

وصلنا إلى المقهى، كان هادئاً تحوطهُ الخضرةُ من كل مكان، لطالما
ألفتني هندسته وخشبهُ العتيق، والياسمينُ الأبيضُ الممتدُّ على سطحه

_ اهِ هذا يومي بعد طولِ ظلام

_ هيا حبيبتي

جلسنا في الزاوية اليمنى من الداخل

لم يكن بالمقهى سوى امرأة أربعينية وزوجها وشابان يجلسان بالمقابل،
أمامهم أوراق وأقلام كثيرة يرتدون قمصاناً بيض ويبدون بكامل
وسامتهم، وأنا وسليمانى

_ لا تجلسي مقابلي أشعر أننا في جلسة تعارف

ضحكت وضحك قلبي لها

_ اوه نسيت انشغلت بالتأمل في هذه الجنة الخشبية أشعر وكأنني في
الشام

_ هيا إذا اقتربي

جلست بجانبه واضعة يدي خلف عنقه متألمة ملامحه العذبة وشعره
المبعثر على وجهه

مقاطعاً لشرودي صوت النادل اللطيف الذي لطالما حفظت صوته لشدة
تعلقى بتفاصيل هذا المكان وأشخاصه

_ هل تودّ بطلب شيء ما ؟

مع ابتسامة لطيفة ارتسمت على وجهه..

_ اثنين قهوة سادة لو سمحت

"_ تكرم عينك أخي"

_ أتعلم، في الحقيقة لم أناديك بالقهوة ولا مرة، رغم أنني أسميتك
بالقهوة، لشدة حبي لها ولك!

أسمرّ كبّنها معطر كعطرها لذيذ ك مذاقها شهّي كرائحتها.

لظالما كنت سريع الغليان، كثير الكلام صعب الطباع، شديد المرار
كالقهوة!

ولكن لا اجيد البداية إلا بك، انت والقهوة.

لم أستطع الرد على كل هذا، فقط شعرت بطاقتها تغمرني وتغمر
المكان، شعرت أن سعادتي مرتبطة بوجودها، كنت أودُّ أن احتضنها
ما بقي من عمري، لا أعرف ما مدى شعوري بذلك ولكن كل ما
اعرفه أنني بخير طالما مريم معي

أتى النادل بالقهوة

"_صحتين وعافية استاذ"

_شكراً لك

عدتُ لأتأمل التفاصيل نظرتُ إلى النافذة الخشبية لأرى أن الغيوم
بدأت بتغطية الشمس، غابت أشعة الشمس عن المكان فأصبح خفيف
الإضاءة

جميل هذا اليوم، حتى جوِّي المفضل حضر كي يكمل الهدوء داخلي

_كم أحبُّك يا مريم

"بتذكرك كل ما تجي لتغييم، وجهك بذكر بالخريف"

هكذا لاحقت فيروز كلماتي

والآن..

_المقهى المفضل، الشخص المفضل، الطقس المفضل، الأغنية
المفضلة، المشروب المفضل..

الآن أنا بكامل سعادتي..

_حدثيني ما مشاريعك لليوم!

_اليوم سأخذ قسطاً من الراحة، لا للمشاريع...

ولكن فكرتُ أن أسافر للشام فقد طال غيابي عن أسرتي وعن حارتي
وعن تفاصيل الشام

ما رأيك؟

_طالما فتاتي تريدُ هذا فليكن!

_وأنا اراه الوقت الأمثل وبمناسبة عيد الأم أريدُ ان أفاجئ امي
بقدومي وأتوقع أن أعظم ما أهديه لها هو أنا

ما رأيك؟

ضحك وقال لي:

كم سأشتاقك يا فتاة..

_للصراحة أنا لا أعلم كيف سأستطيع الرحيل بدون قلبي

لازلتُ لا أدري كيف سأستطيع البعد فترة فقد تعودت على رأيك كل
يوم!

_لا تقلق سأجدُ حلاً لهذا لاحقاً

_ماذا تقصد؟

هل ستأتي إلى الشام معي؟

_لاحقاً يا حبيبتي سأخبرك..

_ ابتسمت وقد سحرتُ بمبسمها

_ فليكن أرجوك!

فالحارة هناك قد اشتاقت لنا متأكدة أنا

_ هل تذكرين كم كنا سعداء هناك ؟

اذكر أننا انتقلنا للمبنى الذي تعيشين فيه بالشهر الرابع

وقد تعرفنا في أوائل الشهر السابع

عندما قررنا نحن وسكان المبنى أن نصعد إلى سطح المبنى والتعرف
على بعضنا مساءً

عندما رأيتكِ كانت ملامحك متعبة

ظلت أفكر.. ما بها هذه الفتاة، جالسةً بوحدها بيننا لا تشارك النقاشات
ولا الضحكات غامضةً في وحدتها

_ للصراحة كنت أفضل الوحدة، لم اكن من محبي الحياة الاجتماعية

ولكن حالما تعرفنا على بعضنا أحببت الحياة بأكملها ليس فقط الحياة
الاجتماعية

_ أذكر انني تقربتُ من أسرتكِ بفترة قصيرة، كنا أنا وأخيكِ نسهر الليل
بأكمله نتحدث عن الدراجات النارية

ضحكتُ بصوتٍ ملىءٍ المقهى ومن ثم أدركت ان الجميع ينظر لي

_ اوبس ماذا فعلت

بضحكةٍ لطيفةٍ، لا تبالي يا فتاة أظنّ انهم ايضاً من الشام، نظراتهم
توحي بذلك..

ضحكتُ ضحكةً عاديةً هذه المرة خوفاً من العيون.

_ عندما كنا نسهر الليالي بطولها أنا وأنتِ وأخيكِ وأمكِ على شرفةِ المنزل

كنا نمضي الليل نستمع لأغاني "ملحم بركات" و "جورج وسوف" و "ماجدة الرومي"

اهِ كم اشتاقُ هذه الأيام

_ في اليوم الحادي عشر من الشهر الثامن كان تاريخُ حبنا الأول

عندها كان الجو غائمً والظلامُ حالكً واذكر أن لون السحاب كان مائلاً للبرتقاليّ لا أدري كيف ولكن اذكر هذه التفاصيل بدقة

عندما دخلتِ وأحضرتِ ثلاث معاطفٍ لي ولكِ ولأخيكِ

كانت الساعة تقاربُ الخامسة والثانية والثلاثون دقيقة صباحاً عندما قلتُ "احبكِ"

وبعدها بدأت الشمسُ بالإشراق على ثغركِ المبتسم المتعجبِ بجرأتي بعدها ذهبنا انا وأخيكِ كي نشترى الخبز من الفرن المقابل لبيتكِ...

_ اهِ كم عدتُ بي للماضي!

_ واذكرُ أن اليوم التالي "الثاني عشر من الشهر الثامن" كان عيدُ ميلادكِ.

عندما ذهبنا أنا وأخيكِ إلى السوق لتحضير المفاجئة

فكان العيدُ اثنان "ميلادكِ" و "ميلاد حبنا"

_ تذكرُ تلك التفاصيل بدقة أحببت هذا!

_وفي اليوم الثالث عشر من الشهر الثامن أخبرتك أمك بحبنا!

_أحبك يا سليمان!

أريد أن تبقى بجانبني ما بقي من عمرنا!

_ومن قال أنني سأرحل عن موطني؟

أحبك يا مريم

لم أستطع منع نفسي من احتضانه بقوة هائلة، وتقبيله على مرأى من الجميع، وكأنه لم يبقى غيرنا في المقهى

_تأخر الوقت حبيبي، هيا بنا علينا الرحيل

سأذهب غداً باكراً للشام..

_هيا بنا حبيبتني

_أمسكت بيده ونهضنا

_كان الجو لطيفاً جداً... مطرٌ خفيفٌ، وهدوءٌ يملأ الشوارع، وكأنه لم يبقى غيرنا أحياء

أمسكت يديه بقوة وسرنا ببطيءٍ نراجع ذكرياتنا في الحارة القديمة

أوصلني للمنزل... وهنا بدأنا بالبكاء معاً!

_سأشتاق مريم

حضنته وبدأت بوضع القبل على وجنتيه وجبينه وشفتيه وكأنني أتملُّ منه..

_أحبك دائماً

_وأنا احبك

_اتصل بي حال وصولك للمنزل

"_إن شاء الله"

_وداعاً

_وداعاً حبيبي

أغلقت الباب وارتيمت في احضان سريري وجلست افكرُ بيومي غداً.

نهضت تأملت انوثتي قليلاً خلعتُ ثيابي وارتديتُ ثياب المنزل

حضرتُ الشاي

وجلستُ لإنهاء مشاريعي الجامعية

حال انتهائي

اتصلتُ بأمي

_كيف حال حبيبتي

انتظريني غداً سأحضرُ للشام

_حقاً، اشتقتك يا ابنتي

_ماذا ستعدين لي غداً

_ ساعدُ "ورق العنب" أكلتكِ المفضلة

_ اه كيف لي أن انتظر الغد ليأتي

_ انتبه لنفسك عزيزتي

_ ألقاكِ

حالما أنهيتُ من الاتصال

اتصل سليمان، تكلمنا قليلاً، ومن ثمّ احضرتُ حقيبة السفر رتبتهـا
بحماس

وارتميتُ بأحضان السرير مجدداً، منهكةٌ

أفكر بيومي غداً

استسلمتُ للنوم سريعاً..

نهضتُ في اليوم التالي رتبْتُ السرير، حضرتُ القهوة، وأعددتُ زوّادةً
لرحلتي الطويلة، فحبي للطعام يعادلُ حبي للكتابة...

كانت فيروز صديقةً يومي كالعادة

فكانت تزيد حماسي بترديدها

"شامُ يا ذا السيفِ لم يغبِ"

اتصلتُ بسليمان

_ صباح الخير حبيبي

_ صباح الخير حبيبتي

بعد ساعةٍ ساكون عند المنزل لأوصلك للمطار

_ حسناً عزيزي

أفقلت الاتصال، فتحت الخزانة ارتديتُ ثيابي ووضعت القليل من مساحيق التجميل وصدفت شعري

بعناية ووضعت الكثير والكثير من العطر، ووضعتُ قارورةً في حقيبتني كي أعطيها لسليمان قبل رحيلي فكان يصرُّ دوماً على الاحتفاظ بعطري..

تأكدت من حقائبي وخرجتُ من المنزل لأرى سليمان مقل

احتضنته بقوةٍ وقبلني بعناية

لم أستطع أن اكتفي بهذا وعلى مرأى من الجيران

عدنا إلى المنزل، وجلسنا على الأريكة تأملني قليلاً وحدثته عن تفاصيل يومي، من ثم وضع رأسه على صدري عاقداً حاجبيه وكأنه يحاول احتباس دمعته

لنفتُ ذراعيَّ حوله وقبلته على جبينه

_ لا تقلق سوف أعود في وقتٍ قريب

_ أمل هذا، إنني غير معتاد على الوداع

أمسكته من وجنتيه كما أمسكُ طفلاً صغيراً وضحكت

_ أحبّك ياها الجميل..

نهض وأمسكني من ذراعيَّ بقوةٍ هامساً في أذني

_ سأفتقدُ مريم

قبلني بنعومةٍ على وجنتاي ومن ثم أصرَّ على تعذيبي بأنفاسه الدافئة
حول عنقي، مشتماً لعطري وكأنه يتنفسُ منه وفيه...

_ هيا سليمان فلنذهب

_ هيا حبيبتي

أغلقتُ الباب وسرنا نحو الشارع العام، وأوقفَ سليمان تاكسي صفراء
تأخذنا للمطار

كان سائق التاكسي كبيراً في السن ما يقارب الخمسين ربيعاً، وسيارةٌ
بسيطةٌ ولطيفةٌ

"يا ابني بلادك قلبك عطيتها "

وهذا ما رده "وديع الصافي" كي يزيد حماسي للسفر

كان سليمان ممسكاً بيدي بقوةٍ كادت أن تكسر أصابعي، وكأنه يتمسك
بحلمه قبل أن يودعه..

حال وصولنا، نزلنا من التاكسي حضنت سليمان وأعطيته قارورة
العطر

_ سأشتاقك يا حبيبي

_ وانا سأشتاقك

اتصل بي بأي وقتٍ، انتبه لنفسك

_ أنت ايضاً

_ أحبك

_ وأنا أحبك

حزن صغيرٌ ومن ثمّ الوداع
صعدتُ للطائرة...

" في وقت اخر "

_ هل مريم من غادرت اولاً؟

نعم، لماذا؟

_ لا شيء، أكمل

سليمان:

وقلبي قد سعد معها

كأن الزمن قد توقف بي

وكل ما مررنا به قد مر من أمام عيني

في كل لحظةٍ ضحكنا أو بكينا بها

آه كم سأشتاقكِ يا فاتنتي
وضعتُ من عطرها وذهبت للعمل
فأنا اعمل بشركةٍ قريبة من هنا بقسم "أمن المعلومات" فقد تفوقتُ
بهذا العمل منذ كنتُ صغيراً
وصلتُ لمكتبي وحاسوبي، بدأت العمل بملل.. ببأس
وإذ بصوت أحد زملائي "هناك من يحاول اختراق الشركة "
فتحتُ حاسوبي بسرعة واذ برسالة قد كتبتها لي في وقت مضى، ومن
شدة تعلقي بها التقط لها صورة ووضعتها خلفية لحاسوبي لأراها كل
ما كنت اعمل، ابتسمت ابتسامة خفيفةٍ مع دمةٍ عصت عيني ونزلت
"سليمان. سليمان.. ابدأ العمل الآن فنحن نحتاجك "
مسحتُ دمعي وبدأت حتى أوقفنا عملية الاختراق
"احسنتم يا رجال هي لنحتفل "
_سوف اعتذر منكم ولكن لا أستطيع أن ابقى سوف اذهب لأستريح
قليلاً
-ماذا بك يا صاح
هل مريم تعاني من شيء؟
(بضحكةٍ خفيفةٍ وصوتٍ مختنق)
_لا لا مريم بخير، ولكن لم أنم جيداً الليلة الماضية وعليّ أن أستريح
قليلاً فجسدي منهك

"في وقت اخر"

_انتظر، هل كان يعلم بها؟

- نعم، فهو صديقي، لقد حدثته عنها كثيراً، لكنهم لم يتقابلا ابداً

_حسناً أكمل

-حسناً يا صديقي نل قسطاً من الراحة وأنا سأبررُ غيابك

_أنت لست مجرد صديق أنت أخي

- (بضحكة ممزوجة بخوفه علي) هي اذهب سارك مساءً

_ودعتهم وذهبت للمنزل

اه كم أكره المنزل دونك يا طفلي

ضممتُ وسادتها الممزوجة بعطرها ودموعي حتى غفوت

أيقظني صوت الهاتف المحمول

"حبيبتي تتصل بك"

أمسكتُ الهاتف ويدي ترتجف وقلبي يضحك قبلي

فتحت المكالمة واذ بصوتها يطل علي

-أنا الآن وصلت يا سليمان

اشتقت لك جداً

وإذ دمعي ينهال مع ضحكتي

_ اه كم اشتاقك يا عزيزتي

الحمد لله على سلامتك يا طفلي

- ما به صوتك؟

هل أنت بخير؟

_ نعم نعم. يا جميلتي بصوتٍ قد علقَ به الدمع

كيف حال الشام وجميلتي؟

- الشام تشتاقك كما اشتاقك

أنا الآن سأذهب إلى البيت سأكلّمك لاحقاً

_ خذي حذركِ مريم فإن لا طاقة لي بأن يصيبك شيء

قبلة

أحبك

- وأنت أيضاً يا جميلي

قبلة

أحبك

أنهينا المكالمة بعد أن حدثتني بما حدث معها بالطائرة، وأنا أتمنى أن
لا تنتهي

اتصلت بصديقي فأنا لا أستطيع تحمل الوحدة، او للحقيقة أنا لا أحب نفسي دونها

_ كيف حالك؟

-يا اهلاً اهلاً

كيف تشعر الآن؟

هل تحسنت؟

_ ما بك أنهلت عليّ بالأسئلة أيها الوغد رافقتها ضحكتي

-ضحك ورافقتها قائلاً: الآن تأكدت أنك بخير

(ضحك.. ضحك)

_ ما رأيك ان نذهب الى تلك الحانة فأنا بحاجة للخروج

-أنا قادم إليك فالتجهز نفسك

أغلقت المكالمة وبدأت بتجهيز نفسي ارتديت المعطف التي تحبها مريم مع الساعة التي أهدتني اياها ووضعت من عطرها

لقد وصل صديقي فتلك صوت عربته

قبلتُ وسادتها أخبرتها بحبي لها وذهبت

مريم:

سرت نحو المقعد الثامن، سنقلع بعد العد التنازلي
عشرة، تسعة، ثمانية....

جلست وبقيت عيني تناظر سليمان وهو يحاول العثور عليّ عبثاً من
بين اكتظاظ الركاب

حال استدلاله عليّ رفع يديه عالياً يلوح لي بحرارة.

كعادتي عند إقلاع الطائرة بدأت أشعر بانقباض قلبي وارتجاف كفوفي
كان بجانبني امرأة ترتدي ثياباً مرتبة وأنيقة وعصرية، ولا بدّ من تأثير
العمر على ملامحها فكانت تبدو عليها القليل من التجاعيد التي بدأت
ترتسم حول عينيها، تخفيها عبثاً بمساحيق التجميل المبالغ فيها.

أظنها في الخامسة والأربعين من عمرها.

أبادلها الابتسامة بين الحين والآخر

شعرتُ أنها في غاية اللطافة، ومن ثم اتابعُ شرودي في اللاشيء، لا
شيء بداخلي لا افكار ولا مخططات، وضعت سماعات الأذن خاصتي

"Killing me softly with her song"

كل أغنية ل "Perry Como" تشعرني بالهدوء والسكنية وكأنني
خلقتُ في زمانه...

بدأت السماء بالبكاء، وبدأت تغيب ملامح الشمس

للحقيقة كان الجو يروقني والأغاني تروقني وكل ما حولي يبشر
بالتفاؤل، ولكن هذه المرة أنا من كنت غير سعيدة بشيء، كنت اشعر
بخمول في جسدي وبشعورٍ غريب، لم اكن مرتاحة له..

قاطعت شرودي هذه الامراة

_ ما اسمك؟

_ مريم

_ جميل، كم أحب هذا الاسم

_ شكراً... (مع ابتسامة صغيرة)

_ كم عمرك يا جميلة؟

_ واحدٌ وعشرون سنة

"_ العمر الطويل"

"_ يسلم عمرك خالة"

_ لماذا أتيت للشام

_ لأخذ استراحة من الجامعة واشتقت للأهل

_ ماذا تدرسين؟

_ العلوم الإنسانية

_ وفقك الله

وأنا رنا، في الثانية والأربعون من عمري، أتيتُ الشام كي أزور
أولادي..

"_ الله يخليهم خالة"

_ البكر متزوج، والأصغر منه خطب ابنة عمه، والصغير ابحت له عن فتاة تناسبه

هل تفكرين في مثل هذا؟

_ للصراحة أرغب في اكمال دراستي وعند انتهائي سأفكر في هذه المواضيع..

_ وفقك الله، كنت أودّ ان تكوني فرداً من عائلتي، فتاة مثلك مؤدبة ولطيفة وجميلة تناسب ابني احمد وحلم لكل من يقابلها

_ شكراً لك، وأنت تملكين من اللطافة ما يكفي لجعل أي شخص يحبك ويحب الحديث معك

_ كم أنت لطيفة يا فتاة.

سليمان:

فالتسرّع يا صاح ستبدأ الحفلة

_ نعم اتيت اتيت

"بشتقلك لا بقدر شوفك ولا بقدر احكيك"

بصوت فيروز العذب عادت إلي أفكاري، فقد كنا نتحدث منذ قليل
امسكت نفسي ونظرت إلى صديقي وبصوتٍ رافقه ضحكة تخفي
الحزن والشوق قلت له:

_تستمع لفيروز في المساء؟

وماذا ونحن ذاهبين لنحتفل به وضعت يدي على الجهاز وغيرتُ
الأغنية

**-نظر لي صديقي تلك النظرة وكأنه يقول " أيها الساذج لقد فهمت
عليك " وضحك**

وصلنا أخيراً

رغم ذكرياتي السيئة بهذا المكان حيث هنا قابلت ذلك العجوز الأخرق
وقابلتُ فينوس إلا أنني دخلت وأنا أسير كالمنتشي

-اشرب الفودكا؟

_لا لا، أريد كأساً من النبيذ

_فالفودكا تذكرني بمريم وأنا لن اشرب ذلك من دونها

" هكذا قلت في سري "

-يا صاح فلتجلب لنا كأسين من النبيذ واجلب الزجاجاة معهم

_لكم ذلك

تفضلاً ولكن لا تكثر الشرب مع ضحكة خفيفة

_نخبك يا صديقي

-نخبُ صداقتنا

رفعنا الكؤوس ولم ننزلها إلا حين فرغت

_والآن يا سليمان عليك أخباري

-ماذا علي أن أخبرك بضحكة مزيفة

_ ما بك؟

أنا أعلم أنك لست بخير

هل هناك مشكلة بينك وبين مريم؟

أنا صديقك وأخاك تستطيع إخباري

-شكراً لك لكن ليس هناك أي مشكلة وأنا بخير

_ حسنا سوف اتصل بمريم، اعطني رقم هاتفها

-لا داعي لذلك، سوف أخبرك

لقد سافرت مريم اليوم صباحاً إلى الشام

_ إذاً وما المشكلة إذ كانت ستعود بعد مدة

-لا أثق بأنها ستعود فهي تحب الشام وترتاح هناك وأنا أيضاً أريدها

ان تبقى

_ رفع كتفيه وبابتسامة خفيفة إذا لما لا تذهب وتبقى معها؟

-والعمل؟

_ ألم أخبرك؟

-ماذا؟

بعد أن رحلت اليوم اتى المدير واخبرنا وقال انهم سيفتتحون فرعاً
لشركتنا بالشام وأن ما ينقصهم هو عدد من قسم "امن المعلومات"
بضحكة قوية قال: ها قد نحلّت مشكلتك فأنت الأمهرُ بيننا والمدير
سيوافق على طلبك

فالتشرب يا صديقي نخب الشام فقد تكون هذه الأيام المعدودة التي
سنلتقي بها

-اه يا صديقي اه كم أسعدتني بهذا الخبر

غداً سوف اذهب وأسجل اسمي

نخبك يا أعز صديقي ونخب الشام

" ضحك.. ضحك "

انتهينا باكراً

ودعت صديقي وانصرفت إلى البيت

في ليلة هادئة هنا

(بخاف عليك وبخاف تنساني والشوق إليك على طول صحاني)

كانت "أم كلثوم" تسود بعظمتها وصوتها أجواء غرفتي، تلك الغرفة
التي انزلت فيها عن العالم بعد أن قررت الابتعاد عن أهلي والحياة
لأكرس حياتي لفهم الحياة

على غير عادة، هذه الليلة أقضيها وحدي دون الرفاق أو مريم، لكن يبقى أثرهم على وضعه، المخدرات، الكحوليات، ملابس نسائية، مراجع الأبحاث، حتى أوراق القمار لم تتحرك الغرفة مفعمة بمزيج من الروائح تبدأ بدخان الحشيش مروراً بالعطور مثيرة الشهوة حتى الأبخرة.

الجميع يأتي هنا، منهم من يبحث عن الهدوء أو تأمل ومراقبة السماء إلى هذا الذي يأتي ليتأمل في ملكوت الله، فمنزلي 'كما وصفه إحدى أصدقائي' عبارة عن مدينة حيوية تستقبل كل ات إليها، تشبه كثيراً الشام، لذلك وضعت على باب منزلي لوحة "اهلاً بك في الشام" الحياة وحدي علمتني كيف أتأقلم عليها بمعنى أوضح علمتني كيف ابتلعها، لم يكن قرار الاستقلال هيناً، ولم يحدث بسبب اي خلاف، لكن وفي كثير من الوقت نحتاج لشيء جديد

لحياة مليئة بالأحداث السريعة، او للحقيقة كنت بحاجة للبحث عن نفسي، واصلت البحث بين الجميع الأصدقاء منهم والأعداء، السوي منهم والضال، والمؤمن والذي لا يؤمن، التي تبحث عن للحب والتي تبحث عن المتعة أو الشهرة او المال؛ لم أجدني سوى مع مريم هذه الليلة مشؤومة للغاية، لم تكن فقط بالذكريات التي داعبتني أو بالأسئلة التي لم تهدئ براسي، بل كانت فيما هو أصعب؛ كانت

"ام كلثوم" تستعد لإنهاء الأغنية حتى رن الهاتف، وكان المتصل هو صديقي الذي طلب مني القدوم له بأسرع وقت لأنه مجتمع مع مدير العمل أما صوته فكان يخفي الكثير كان سيء جداً، كأنه يحاول تجنب إخباري بأن تم رفضي، او بأن مكروه قد حدث، لم اهتم ذهبت مسرعاً.

أفكارٌ كثيرة تتزاحم في عقلي، مريم، الشام، العمل، صديقي .
لقد وصلت وأخيراً
طريقة.. اثنتان.. طريقة
فتح الباب صديقي وهنا كانت الصدمة.

مريم:

طيلة الرحلة وهي تحدثني عنها وعن حياتها خارج الشام وعن دراسة
أولادها وكيف توفي زوجها في الحرب
شعرتُ بالنعاس المفرط والملل... وللصراحة لا أستطيع منعها من
الكلام فكنت ماهرة بالمجاملات..
حال وصولنا لمطار الشام، هبطت الطائرة، وبدأ الركاب بالنزول
ودعت الخالة رنا التي رفضت أن اناديها بالخالة ظناً أنها ستبدو أكبر
بالعمر

اتصلتُ بأمي لتطمأن أنني وصلت المطار
وسرت نحو حافلة النقل الضخمة كي تأخذني للمرآب
صعدت بها واتصلت بسليمان
تكلمنا قليلاً ومن ثم وصلتُ إلى الوجهة المرادة
سرت نحو السوق لكي اشتري بعض الحلّي والتجميل لأمي فهي تحب
التجميل والجمال وبعض الأحيان اشعر أنها تواكب العصر أكثر مني
فكانت تبدل لون شعرها بحماس وتضع التجميل بعناية وتحافظ على
صحتها وتشتري الملابس الأنيقة وتداوم على النادي الرياضي بشغفٍ
هائل.
انتهيت من التجميل قاصدةً دكانة العم أبو جميل للحلويات والمعجنات
اشتريتُ الخبز الساخن وبعض الحلويات
ومن ثم اشتريت بعض الملابس لأخي فلم أستطع مقاومة جمالها
وأناقته، ولأنني أعلم أن طالب الثالث الثانوي بحاجة إلى هدايا بسيطة
للترويح عن نفسه من ضغط الدراسة، وخصوصاً أخي من عاداته
السيئة الكتمان؛
كتمان الحزن، كتمان الغضب، كتمان الحب، ماهرٌ في كتمان كل
شيء، وأنا أعلم أن بعودتي للمنزل سوف أقضي معظم وقتي اسحب
منه الكلام كي آخذ عن قلبه جزءاً من مشاعره المكتومة

حال انتهائي استقلتُ حافلة صغيرة توصلني إلى قريتي مكتوب عليها أسماء لأغاني ام كلثوم ووردة الجزائرية وهذه كانت حافلات الرجال الكبيرة في السن، أما الشبان المراهقين فكانت عباراتهم مضحكة مثل

"ضبي بنتك يا جارة ابو علي فات على الحارة"

وجُمل مليئة بالأخطاء الإملائية المستفزة والمضحكة

كانوا يكتبون النون بدلاً من التنوين والياء بدلاً من الكسرة

كانت هذه التفاصيل تستفزني وتضحكني..

عند وصولي تأملتُ الحارة وأولادها ودكانة الخالة أم فراس والشوارع وكل هذه التفاصيل التي تطوي في اعماقها الكثير من الذكريات الجميلة

رأيت أمي وأخي عند باب المبنى ركضتُ نحوهم واستقبلوني بحضنٍ حنونٍ ينسيني كل عناء السفر، يشعرني بالأمان الذي فقدته منذ وداعي لسليمان قبل صعودي الطائرة..

بعد الكمّ الهائل من القبلات والأحضان القوية سعدنا إلى الطابق الخامس حيث شفتنا، وكعادتي اتعب من صعوده أكثر من تعبني في السفر

دخلت الباب، تأملت الصالون، المطبخ، غرف النوم

كم اشتقتُ لهذه التفاصيل..

أخذتني أقدامي فوراً إلى شرفة المطبخ هناك حيث بدأت قصتي مع سليمان بكلمة احبّك

تأملتها بحب واشتياق

اشتياق لكل تفصيل في هذا المكان، لكل قبلة بيننا لكل حزن أُخذَ على
عجلةٍ خوفاً من ان يرانا أحد

كانت شقةُ أهل سليمان في الطابق الثالث نظرت إلى شرفة الصالون
خاصتهم رأيتها فارغة لم يكن سليمان يقف عليها ينتظرنني لكي نتبادل
النظرات سرّاً خوفاً من سكان البناء والثرثرة التافهة

دخلت الى المطبخ، القيتُ نظرة على ورق العنب
وكانت بي رغبةً ان أكلها كلها في دقيقة واحدة
من كثرة الجوع، رغم انني تناولت وجبة في الطائرة وزوادتي التي
أمضيت ساعة كاملة في اعدادها لأنني بطيئة وكثيرة المماطلة في أداء
المهام..

سادخل غرفتي لأبدل ثيابي

هيا عزيزتي، وانا سأعدُّ المائدة

أغلقت باب الغرفة وتأمّلت سريري، خزانتي، ألعابي، صوري القديمة
مع أصدقائي، تفاصيل أحبّها قلبي أكثر من ايّ شيء...

ارتميت على السرير

اتصلت بسليمان

كيف حال قلبي؟

اشتقتك يا حبيبتي

أنا وصلت منذ قليل والآن سوف ابدل ثيابي وأتناول الغداء

"_صحة وعافية حبيبتي"

"_على قلبك"

_ارتاحي الآن وكلميني عندما تستطيعين

_انشاء الله

انهيت المكالمة بعد ان اخبرته بكل مل فعلت، فانا لا أستطيع ان أخفي
عنه شيء.

سليمان:

(صوت ضحك واحتفال)

الكل متواجد هنا زملائي في العمل والمدير وصديقي

-ماذا يحدث؟

_مبارك يا صديقي لقد وافق المدير على نقلك وأنت الآن أصبحت

"رئيس قسم أمن المعلومات"

(مبارك.. مبارك)

-أنت تعلم أنني لا أحب هذا المزاح

(تقدم المدير بخطى ثابتة وصافحني)

_مبارك يا سليمان فلتأتي لتوقع العقد

-ماذا؟

هل أنت جاد؟

_ومنذ متى هناك مزاح بيني وبينك؟

-اعتذر، ولكن كيف حدث ذلك بضحكة خفيفة

-لقد أخبرني يوسف عن حالتك وأنا أثق بك جداً ولا أجد من هو اكفئ
منك لهذه المهمة ومن الصعب جداً التخلي عنك هنا ولكن هذه رغبتك

_ نظرت ليوسف وضممته وأنا أبكي

شكراً شكراً يا أخي شكراً لك

-تماسك نفسك أيها الوغد مع ضحكة قوية

هي اذهب ووقع العقد طائرتك غداً مساءً

_وقعت العقد واكملنا الاحتفال ولحظات الوداع، ولكن كل ما كان

يجول في بالي هي مريم فقط، سأذهب وأخيراً وارهأ

انتهينا من الحفل ذهبت للبيت لأنال قسط من الراحة وكلي أمل بالغد

الساعة الثامنة صباحاً صوت رنين المنبه

استيقظت مسرعاً رغم نومي الثقيل

دائماً ما كانت مريم تنتقد هذا الأمر ولم تعلم قط أن نومي الثقيل كان
اطمئنان فهي بجانبني

"راجعين يا هوا راجعين "

صوت فيروز ينقي الصباح مع فنجان القهوة السادة
بدأت بتجهيز حقيبة السفر ووضعت كل ما يلزمني

"الأماكن كلها مشتاقة لك "

مع صوت "محمد عبده" الذي زاد شوقي أضعاف لها ضممتها بقوة
ووضعتها في جيبني ووضعت القليل من عطري وعطرها الممزوج
برائحة تبغي رافقه صوت عربيه صديقي

كنت اركض لأصل ركبتُ معه وشكرته على كل ما فعله

"انا اصلاً مشكلتي في عينها تأخذني بلاد وتوديني"

وهي من كانت تزيدني تعلقاً بالموسيقى والأغاني البديلة

"ارجع تاني على الحارة لريحة الفول والطعمية "

أكمل المغني بتلك الكلمات ونظرت ليوسف قائلاً:

- أنت اخي العزيز

يوسف ضاحكاً يحاول أن يخفي دمه:ُ

لنا لقاء آخر يا أخي لن أنساك. ابدأ سنبقى على تواصل، اوصل

سلامي لمريم وقل لها بأنها محظوظة بهذا الحب الذي يحيط بها

وابتسم مع دمة خفيفة

لن انساك. ما حييت فكيف للمرء أن ينسى أخاه، وسنبقى على

تواصل دائماً

وصلنا للمطار كان جميع الأصدقاء والزملاء ينتظروني، لم أكن اتوقع

بأن أتأثر هكذا بوداعهم حضنتهم والتقطنا بعض الصور للذكرى

نبتسم فيها ولكن ستبكيها لاحقاً

لن أنساكم يا عائلتي انتم ولنا لقاء آخر

صعدت للطائرة وحزني يسبقه فرحي لأنني سأقابل مريم وعائلتي

واصدقائي بعد طول غياب، واحزن لأنني اترك عائلتي الثانية

إن الحياة تجعلنا نمر بمراحل عدّة، ولكن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ"

كانت تلك الآية الكريمة قد صدحت برأسي مع ابتسامة أنرسمت على

وجهي وطمأنينة قد نزلت على قلبي..

مريم:

خرجت من باب الغرفة

جلستُ مع أمي وأخي نتبادل الأحاديث بحماسٍ، ثرثرات تافهة عن الجيران "فلانة أنجبت طفل، فلانة تخرجت من الجامعة، فلان توفي في حادث سير والخ"

كنت أبدي شغفي خلال الحديث رغم أنني لا أحب هذه الجلسات المليئة بخصوصيات العالم، كما ذكرت أنا ماهرة في المجاملات وهذه من أحد العادات السيئة ومن الصعب أن اتخلص منها، من الصعب أن أقمع حديث من أممي حسب مزاجي وقدرتي على الاستماع لم أربّي على هذا، واكتسب من أمي هذه العادة (كثرة المجاملة)

تناولت الكثير والكثير من ورق العنب والمقبلات التي لم أنسى مذاقها طيلة غربتي، فأمي كانت بارعة في كل شيء، أظنها الأم المثالية حقاً حال انتهائنا ذهبت أنا وأممي للمطبخ لتنظيف الأطباق رغم إصرارها أن اذهب وارتاح ولكن شوقي للحديث معها كان يمنعني

_ كيف حال سليمان

" _ منيح كثير ومشتاق للبيت ولأكلاتك وسهراتنا"

"يا ريت إجي معك يا امي، اشتقنا كثير "

بعد ساعتان متواصلتان من الأحاديث والأخبار
ذهبت لأرتاح في غرفتي، ارتميت على السرير وبدأت بالتفكير، كيف
سأجول شوارع الشام وكيف سأتحمل شوقي لسليمان، فكل زاوية من
هذا البيت تحمل ذكريات وأحاديث كثيرة بيننا
تذكرت عندما كنا في الشتاء الماضي هنا في هذه الغرفة وعندما
هطلت الكثير من الثلوج، وجاء سليمان بصحبة الفودكا، وكانت أمي
قد جهزت بعض المقبلات، وأنا كنت مسؤولة عن صنع النرجيلة،
وأخي كان مختصاً في تنسيق الموسيقى الطربية منها والصاخبة
تارةً يضع لنا "داوود العبد لله"
وتارةً أخرى يضع "جوليا بطرس وماجدة الرومي"
اذكر كل تفاصيل هذه الليلة، كل نظرة اختلست سرّاً،
كل نخبٍ بيننا...

فكنت أنا بدوري أخدع الجميع، كانوا يظنون ان عيوني الناعسة
وغنائي العشوائي ورقصي الشرقي المتقن لأول مرة من آثار الفودكا
إلا انني ثملت من عينيّ سليمان أنهاراً من الفودكا، أما رائحته فكانت
مزيجٌ مثيّرٌ من التبغ والعطر والفودكا "والأبخرة الأخرى بدون ذكر"

كانت كفيلةً أن تسكرني أعواماً وأعوام.
كعادتي الآن استسلمت لأحضان سريري و غفوت حاضنةً معطف
سليمان الأسود المليء بعطره الذي لطالما أشعرني أن سليمان يغفو
بجانبي بين يداي وأضلعي..

استيقظت على صوت موسيقا وضحك في غرفتي أز عجتني جداً
نهضت من السرير ونظرت إلى الغرفة وإذ بي أرى "إيلين وحلا"
فكانوا يخططون لهذه المفاجئة مع أمي منذ وصولي الشام..
امضوا معي المرحلة الثانوية ولكن شاءت الأقدار وافترقنا في
المرحلة الجامعية، ولكن هذا لم يمنع التواصل بيننا فكنا نمضي
ساعاتٍ وساعات نتكلم على مواقع التواصل الاجتماعية كل يوم
بعد كثيرٍ من الأحضان الجنونية والصراخ والرقص وصوت الأغاني
الصاخب والأحاديث الطويلة
تأخر الوقت وقرروا المبيت معي اليوم..

انتهينا من هذا الجنون ورتبنا الغرفة وقررنا أن ننام، والنوم تمويهٌ
لكي نجلس لوحدنا نخططُ لشراء هدايا لأمهاتنا ولبعض النزهات خلال
هذه الإجازة

قررنا غداً الذهاب للسوق لشراء بعض الثياب وتناول الأطعمة الشامية
المشهورة

سليمان:

جلست على المقعد المخصص واضعاً سماعاتٍ على راسي
"رجعت لك يا حبيبي بعد الفراق"
طيف الشام قد رافق صوت "اسمهان" مع ابتسامة أمي وعينا مريم
وصخب أصدقائي
لقد مر وقت طويل لم آتِ إلى..
"شام أنت فتاتي وامي حملت صباي فهل فيك أكبر"
قاطعتني "لينا" بصوتها العذب
غفوت قليلاً ولم أشعر الا بوصولنا
استقليت سيارة الأجرة القريبة من المطار كان رجل خمسيني قد
اعتلاه الشيب
"الليل وسماه ونجومه وقمره وسهره وأنت وأنا"
صوت "أم كلثوم" قد أحياني من جديد
-الحمد لله على سلامتك يا بني
_ الله يسلمك يا عم
-إلى أين انت ذاهب يا بني
_ إلى فندق "الفور سيزون" لو تكلمت يا عم

"-تكرم عينك"

لم أكن أريد الذهاب للمنزل بهذا الوقت المتأخر من الليل لذلك ذهبت
لأنال قسط من الراحة في الفندق، وغداً سأذهب لأفاجئ أمي ومريم
بما أن عيد الأم غداً

اهِ كان روعي قد عادت إلي بروية الشام من جديد
وصلت للتو إلى غرفتي في " الفور سيزون " غرفة منظمة ومتناسقة
جداً، على عكس أفكارى الفوضوية، وقفت قليلاً على الشرفة أشعلت
سيجارة واستنشقت هواء وطني بكل ما اتيت من قوة وكأني أرحب
بروعي من جديد .

لم يكن لدي طاقة لأتأمل أكثر خلعت ملابسى واتجهت إلى السرير
مباشرةً.

"الساعة السابعة صباحاً بالتوقيت المحلى لمدينة دمشق"

استيقظت وحدي وأيقظت المنبه

ارتديتُ البدلة السوداء فهي تجعلني أبدو فاتناً

حملتُ حقائبي واتجهت الى "سوق الحميدية" فإنه الأحب لقلبي

اشتريت قلادة لكل من "خالتي ام مريم وأمي" وبعض الثياب أما

لمريم فقد أخذتُ باقةً من الورد الملون الذي يطغاه اللون الأرجواني
الذي تحبه، وصلتُ لأمام المنزل فأنا أسكن في الطابق الثالث في نفس
العمارة التي تقيم بها مريم

طرقه.. طرقان... ثلاث.. طرقه.. طرقان

-من في الباب

_ اه كم اشتقت لصوتك (لم أجب)

-طرقه.. طرقان... ثلاث... طرقه.. طرقان

-انا آتية

_ فُتِح الباب وانهمل دمعي معه

-سليمان

_ اه كم شتقت لك يا امي

انحنيت و قبلتُ يدها و حضنتها ضم العاشق و المشتاق و الطفل الصغير

_ انت تزدادين جمالاً في غيابي يا جميلة

كل عام وانت بألف خير "يا ست الكل "

-وانت بألف خير يا حبيبي

اه كم شتقت لك "يا حقير " مع ضحكةٍ ممزوجة بالدمع

_ قبلت جبينها وانا اردد " احبك جداً جداً "

جلسنا قليلاً تحدثنا، بكينا، ضحكنا قليلاً

-هي ادخل اخلع ملابسك ونل قسطاً من الراحة الى ان يكون قد جهز
الطعام يا حبيبي

_انت تأمرين يا سيدة النساء، ولكن سأذهب لأرى "خالتي ام مريم و
مريم"

- (ضحكت بصوت عالٍ) هي اذهب ايها العاشق مع غمزة وابتسامة
انارت عالمي

_ احبك جداً، لن أتأخر عليك أيتها العجوز بضحكةٍ

-سوف تبقى مشاغب لن تتغير هي اذهب اذهب وضحكتها تحتل
وجنتيها الجميلة .

طريقة... طرقتان.. ثلاث.. طريقة.. طرقتان

(كنت معروف بتلك الطرقات فأنا اطرق على الباب كأنني اعزف
الموسيقى)

_يا اهلاً يا اهلاً بمن اتي، سليمان عندنا تفضل تفضل بالدخول يا بني
لقد اشتقنا لك. كثيراً

-كل عام وانت بألف خيرٍ يا خالتي

_وانت بألف خير يا أيها الجميل مع ابتسامة تحكي الكثير

-من؟

سليمان؟

أنت ومريم عدتم اذاً الآن عاد الخير لأيامنا بضحكة خفيفة يسبقها
الكثير من دمع الشوق
_كم اشتقت لك يا أخي الصغير
-اجلس اجلس، سأذهب لأيقاظ مريم فهي مازالت على عاداتها تحب
النوم كثيراً
"ابتسمت ابتسامة خفيفة كأني أقول أعلم أعلم ذلك"

مريم:

استيقظت على صوت أمي وهي تقول:
"مريم يا مريم سليمان بالبيت"
لم أصدق ما تقوله ظننت أنني في أحلام اليقظة كالعادة
فكثيراً ما كان يختلط في ذهني الحلم والواقع..
"يلا يا مريم سليمان حابب يشوفك"

نهضت من السرير كالمجنونة بعد استيعابي أنني لم أكن احلم
"ايلين حلا سليمان هون"

نهضوا هم أيضاً كالمجانين... أشعر اننا كنا مضحكين نمشي في
أرجاء الغرفة دون فهم واستيعاب ولا فكرة عن ماذا نفعل
سرت إلى الغرفة وانا لا أستطيع السيطرة على ملامح وجهي فشعرت
انني غير قادرة على التحكم بابتسامتي العريضة، وكان قلبي يدق ويدق
وكانه سيخرج من صدري بعد لحظات قليلة
كانت عيناى تفتش عنه بشغفٍ.

عندما تلاقت عيوننا أصرَّ على تعذيبي بنظراته التي لطالما كانت
إحدى نقاط ضعفى
عيناه الناعسة وحاجباه المرفوعان وفمه الصغير المبتسم، ويميل
برأسه قليلاً

"_يا أهلاً بسليمان"

"نورت الشام نورت الشام"

"_اهلين فيك يا مريم"

كانت عيوننا تتحدث الكثير والكثير

"الحمد لله على السلامة سليمان"

"_الله يسلمكن يا رب"

تحدثنا عن احوال الجامعة والمعيشة خارج البلد والأوضاع الاقتصادية والخ..

"اكيد اشتقت لأكلاتي، الغدا جاهز"

نعم لقد اشتقت جداً ولكن أُمي تنتظرني ويجب ان استريح قليلاً
غادر سليمان كي يمضي بعض الوقت مع أمه، أما أنا وصديقاتي
ارتدينا ثياباً ربيعية ووضعنا مساحيق التجميل وانطلقنا إلى السوق
حيث كانت تغريني تفاصيل الشام ومحلاتها وأقمشتها وروائح الطعام
والقهوة تنبعث من جدرانها العتيقة والأصيلة

اشتريت لأُمي قلادة فضية تحمل اسمها ومثلها للخالة ام سليمان فكانت
تحبّ الفضة أكثر من الذهب على عكس أُمي فكان لا يحلو لأُمي سوى
الذهب كانت مهووسة في لون الذهب وأشكاله، فكان أبي يسافر خارج
الوطن وعند عودته يشتري الكثير من الذهب لأُمي فكانت تتباهى
بارتدائها له إلا أنها كانت ممثلة الجسد حتى كانوا يلقبونها بخرساء
الأساور

على عكسها الآن رشيقةً منحوتةً الخصر قليلة الأساور
واشتريت ايضاً العطر وبعض الثياب المعاصرة فكانت امي والخالة أم
سليمان تعشقان الجمال والأناقة أكثر من اي شيء

بعد جولاتٍ وجولاتٍ والكثير من الصور التذكارية

عدت إلى المنزل متعبة من السير الطويل والضحك المستمر وقياس
الثياب وتناول الكثير من الطعام.

سليمان:

فُتح الباب وظهرت

بشعرها الفوضوي الأنيق وعيناها الغارقة

وهالاتها السوداء وابتسامتها المتعبة

"يلي شمس الدنيا تطلع لما تطلع ضحكة منك"

اجتاحت هذه الأنغام تفكيري .

أنظر لها بنظرة مهزوم رأى منقذته الوحيدة، كما يقال:

"كأن في عينيها وعداً بالسلام يُجردك من شوائب هذه الأرض"

جلسنا وتبادلنا أطراف الحديث واحاول جاهداً ألا يعصيني قلبي

واقبلها مع كل ابتسامةٍ.

انتهينا من الحديث ورحلت

هناك من يضع أغنية بصوت عالٍ

"طلوا حبابنا طلوا نسّم يا هوا بلادي بين ربوعنا حلو ضحكت زهرات
الوادي"

صوت " وديع الصافي " الجميل يخرج من منزلنا

_ أميي

-هيا أيها الصغير احضني احضني

_ اكل هذا وصغير (بضحكة بريئة)

-مهما كبرت ستبقى صغيراً بعيني يا جميلي اذهب وغير ثيابك ولا
ترميهن كعادتك

(بضحكة نابعة من قلبي)

_ لن تتغيري يا امي لن تتغيري وأحبك انا جداً

بدلتُ ثيابي وجلست بجوارها لناكل

"_ تسلم ايدك أم سليمان في تحسن بطبخك"

-نظرت لي بطرف عينيها وهي تضحك وتقول

كل أيها المشاغب كل

بعد انتهائنا من تناول الطعام وتنظيف الأطباق

_ ما رأيك ان ندعوا خالتي ام مريم للعشاء اليوم؟

-لا مانع لدي سأحدث معهم

بعد أن انتهى الاتصال الذي اخذ ساعات وساعات وهم يقولون " مشغولي كثير اسا بشوفك اليوم ومنحكي "
ليأتي الرد " أن الإبريق على النار بشوفك ومنحكي اكيد "
جميعنا نعلم معنى أن تتحدث الأم والجاره فذلك لن ينتهي إلا بعد أن
ننفذ نحن لا الصبر

_ ماذا يا أمي ما الذي حصل؟

-انزل لعند العم ابو اسماعيل وأجلب هذه الأغراض

(قبل أن أتكلم قاطعتني)

سأكتبهم على ورقة كي لا تنساهم كعادتك

“يا أمي بطلت أنسى كبرت”

-نظرت لي بطرف عينيها وكأنها تقول لي "اخرس أخرس أعلم من
أنت جيداً "

ضحكت وقبلت رأسها ونزلت.

_ مرحباً يا عمي

-سليمان اتي الحمد لله على سلامتك يا بني

" شو جبئنا معك "

(ها هو السؤال المعتاد عندما يعود مغترب للوطن)

_بضحكةٍ قالها فنظرت له وابتسمت ابتسامة ليس من الجيد معرفة ما كنت أقصد

أخذت الأغراض وبعض من زجاجات الفودكا ذو النوع الجيد
ومكملاتٍ لهذه السهرة وعدت أدراجي وأنا ادندن اغنية
"يا حبيبي تمختر أنت الأجل أنت الأخطر"

مريم:

جلستُ على السرير اشرب الشاي واسمع "عمرو دياب"
كنت سعيدة لكل شيء حولي ولكن بداخلي شعور غريب لا أدري ما
هو وما سببه رغم سعادتي بكل شيء حدث وسيحدث فكان الأمل
والتفاؤل يطغيان على هذا السواد القليل داخلي، فقد اعتدت على هذا
الشعور المزعج منذ زمن ليس بالطويل؛ لم أعطِ هذا الشعور أيّ
اهتمام فقد كان الإهمال له هو الحل الوحيد
تفائلت بالقادم وغفوت وانا جالسة فكان النوم يصيرّ على أسري في
اعماقه حين تداهمني أفكارى البالية بدون سابق انذار..
استيقظت على رنين الهاتف (سليمان)
_كيف حال حبيبتي

_بخير وانت

_بخير

هل كنت نائمة حبيبتى ؟

_نعم

_انهضي انهضي ها هي امي تتكلم مع امك كي تأتون إلى العشاء

اليوم

لكن تفاجئي عندما تخبرك امك وكأنك لا تعرفين فأنت ماهرة بالتمثيل

_لا تقلق حبيبي سوف اتصرف

القاك مساءً

إن شاء الله حبيبتى

انهيت الاتصال وضللت في السرير مقلوبة الملامح فأنا من الصعب

جداً ان اصحى سعيدة، وأكره هذه العادة جداً إلا أنني قليل ما أستطيع

التحكم بنفسي

نهضت من السرير رتبته ومررت من امام امي عمداً لتخبرني

وأتفاجئ

_حضري نفسك جيداً سنذهب لتناول العشاء عند ام سليمان اليوم

_حقاً متى وماذا سأرتدي

لأذهب لتحضير نفسي سريعاً

عدت إلى الغرفة متباطئة الخطوات وعيون ناعسة وشعر فوضوي

وبيجامة واسعة، جلست أمام المرأة وضعت بعض مساحيق التجميل

لإخفاء هذه الهالات السوداء المزعجة وفككت ضميرتي وارتديت

فستان أسود طويل كان يحبه سليمان، ووضعت العطر، وتأكدت من
هدية الخالة أم سليمان
انتهيت...

_ هيا بنا أمي

_ هيا حبيبتي

نزلنا طابقين وطرقنا الباب فُتح بسرعة فكان سليمان يقف خلفه ينتظرنا
قابلنا بابتسامة لطيفة
" _ تفضلوا أهلاً وسهلاً"
" _ أهلاً فيك يا مهرب"
" _ أمي... أمي.. وصلوا ضيوفنا"
سلامات حارة والكثير من القبلات

وضحك أمي والخالة بصوت عالي من دون سبب كان مزعج بعض
الشيء، ولكن لا بأس
قبلتني أم سليمان بحرارة قائلة:
" _ يا مية هلا ببنتي حليانة يا مريم حليانة"
" _ تسلميلي يا خالة والله اشتقت لحكياتك الحلوين"

بعد نصف ساعة من الأحاديث الخالية من المعنى ذهبت مع الخالة كي
أساعدها في ترتيب المائدة وحال انتهائنا بدأنا في تناول الطعام اللذيذ،

فكانت خالتي أم سليمان بارعة بالطبخ مثل أمي تماماً

تناولنا الطعام وانتهينا، ذهبت أمي لغسل الأطباق مع خالتي أم سليمان، وبقينا أنا وأخي علي وسليمان جالسين نراجع الذكريات ونضحك ونتحدث عن الدراجات النارية التي أصبحت أعرف عنها من المعلومات ما يكفي لجعلي مؤهلة لشراء واحدة

بعد انتهاء الأمهات من التنظيف والثرثرة خلدوا إلى النوم وبقينا أنا وعلي وسليمان
" _تشرّبوا فودكا؟"
" _أكيد أكيد"

كان علي مصرّ على جلبها بنفسه هي والمقبلات أظن أنه يفكر في أكل أكبر كمية لوحده.

ذهب علي للمطبخ وبقينا اني وسليمان في الغرفة
" _اشتقتك يا حبيبتي"
" _بالأكثر يا سليمان"
لم نستطع منع رغباتنا من حضان دافئ سراً
اقترب مني على مهلّ يلف يديه بعناية حول خصري يعذبني بأنفاسه
الدافئة هامساً في اذني
" _الأسود يليق بك"

كم تبدين جميلة اليوم
وانت أيضاً تبدو جمي...
قاطع كلماتي بقبلة ناعمة يأخذها ببطئ وعناية وكأنه نسي أننا في الشام
ونسي الأهل والفودكا وقرر أن يثمل من قبلته
قبلة
اثنتان
أحبك مريم
لقد جلبت الفودكا
ابتعدت عن مريم وعيناى تنتظر علي
كاس لك كاس لك كاس لي
نخبكم يا أصدقاء
نخب لقائنا بعد غياب
"يا ريت بترجع أيام الماضي أيام زمان"

(رجعنا.. رجعنا)
بانتشاء كنت أغني مع "وديع الصافي" وعيني تقبل عينا مريم ثم
تستريح على وجنتيها
"اغداً القاءالك؟"
"ضحك.. ضحك"
-انك تكثر بالمشروب يا سليمان
نظرت لمريم وإذ بابتسامة انرسمت على وجنتيها أظن أنها فهمت ما
كنت أعنيه، نظرت لعلي دون إجابة لكلامه السابق
"بغيبتك نزل الشتى قومي طلعي عالبال"
ضحكت تلك الضحكة التي طالما بحثت عنها في إرجاء روعي، اه كم

أحبك يا فتاة
بعد الكثير والكثير من الضحك، الرقص، المشاعر، الحزن، نظرات
العيون والتفاصيل والذكريات...
شعرنا بالنعاس وتمدد كل واحد منّا على فراش...
تحدثنا قبل النوم في أحاديث سخيفة خالية من الأهداف
" يا ريت فينا بس انفكر بالشغلة اتصير "
" يا علي ايمت رح تصير عاقل ؟ "
" تخيل اسا تفكر بكاسة مي وتلاقيها حدك ! "

نهضت مريم من فراشها
_ "بتضلك قليل حيلة أكثر مني"
مع ضحكة جميلة وملامح بريئة..

" يا سيدي وأني عطشان "

كان العطش حجة لي لألحق بها إلى المطبخ
_ قبله هيا اسرعي اسرعي
_ كيف اتيت وماذا قلت لعلي ؟
" قتلوا بدي روح احضن مريم "
بضحكة عالية (اوبس)
" بتضل بلا عقل يا سليمان "

حضنتها من الخلف وقبلتها على عجل خوفاً من قدوم أحد

_يكفي يكفي تأخرنا

هل تريد الماء ؟

_لا، كنت مجبر على الكذب لكي أرى القمر وحدي مجدداً

_إذاً هيا يا شقي لنذهب إلى الغرفة

(قبلة، قبلتان وعشر قبل أيضاً)

_قلت يكفي، هيا

_ها هي قارورة الماء، تحقق حلمك

"_والله إلي ما عندوا مريم يشتري"

_بضحكة...تذكّر هذا في المرة القادمة عندما اطلب منك احضار شيء

ضحكنا ومن ثم ارتمينا كل واحد في فراشه مجدداً

"_علي علي.... نام علي"

"يا علي نمت؟"

لم يجبني إذاً نام

"مريم نائمة؟"

"_لا بعد"

"_قومي نعد النجوم وننظر الشمس تطلع"

"_بخاف يفيقوا"

"_يلا خليها مغامرة"

نهضنا على مهلٍ، ببطيٍ وحذرٍ وخرجنا إلى شرفة الغرفة

"_انتبهي نوم أمي خفيف"

"_ونوم أمي كمان"

_وعلي؟

"_علي اذا صرخت فوق راسو ما بفيق"

(ضحكنا)

إذا هيا بنا لنستمع الليلة...

_إذا!

_إذا ماذا؟ إذا حضن قوي لسليمان

ضحكتُ وحضنته بقوة مشتمةً لرائحةِ عنقه المعطرٍ بمزيجٍ من التبغ

والفودكا والعطر

اه كم كانت تغريني تفاصيل رجولته

يداه الكبيرتان، ذقنه القصيرة، عيونه الناعسة وشفاهه العذبة وكأنها

أنهارٌ من النبيذ

_غداً سأراكِ أليس كذلك؟

_وكيف؟

"_بتروحي عالقيمرية؟"

"_بروح عالبال"

_سأنتظركِ الساعة التاسعة صباحاً عند "حارة الشاويش" ونكمل

الشارع معاً

_انشاء الله

بعد صمتٍ دام ثلاث دقائق...

كانت الساعة تشيرُ إلى الواحدة بعد منتصف الليل حيثُ تشرد الهدوء

من بيته ليستوطن قلبي، بدأ بلامسة حواسي رويداً رويداً، لقد شهدت
هروب أول قطرة مطر لتنام بسلام على يدي بعد رحلة سماوية متعبة
انا هنا!!
أنا هنا يا عزيزي في الركن اجلس، اختلس النظر إلى السماء فتخبرني
اننا ضيوف شرف هذا المساء
تنهدتُ وأمسكتُ يدك
قبلت يدي ووضعتها على صدرك واغمضت عيناك
فلم يعد بوسعي الآن سوى الشroud
إنني افقد السيطرة مجدداً ويغلبني النعاس...
غفوت حوالي عشرين نبضة ومقطوعة لصر صار الليل يؤنسنا،
لأستيقظ على همساتك في اذني تقطع عليّ العدّات وتقول:
_ احبّ مريم ولا احبّ سواها
_ وانا احبّك..
_ هل تشعرين بالنعاس؟
_ قليلاً..
تنهدتُ وقالت:

يا ليتني استطيع النوم بين يداك في هذا المساء الوردّي، في هذه الليلة
اللطيفة بعيداً عن شوائب العالم، بعيداً عن ثرثرة الجيران وسطوة
الأهل، بعيداً عن الكبرياء والمبادئ، بالقرب منك أنت... أنت فقط

وضعت رأسها على صدري مسافرةً بعيونها إلى السماء بين النجوم
والأفلاك باحثة عن حياة بلا قيود بلا مجتمع، وحدود بلا ممت وقبور
حياة في أفلاك بعيدة تكتظ بالياسمين الدمشقي تصدح فيها فيروز من

كل جدارٍ وبيت، ممتلئة شوارعها بابتهالات النقشبندي، بأجراس
الكنائس وأبخرة المعابد
بالحبّ والحريّة وبسليمان

_ هيا لندخل ونام

_ فليكن

دخلنا الى الغرفة وارتمى كلّ واحد منا في أحضان فراشه....

استيقظت على صوتِ أمي..

_ صباح الخير

_ صباح النور

_ مريم سليمان علي، الفطور جاهز

_ نهضنا ورتبنا الغرفة وتناولنا الفطار

ومن ثم ودعنا الخالة أم سليمان وسليمان وصعدنا إلى البيت بعد موعدٍ

آخرٍ للقاء

صعدتُ إلى المنزل وانا لا أفكر سوى بالنوم والفراش

ولكن تذكرت موعدتي مع سليمان ودخلت غرفتي...

كانت الساعة السابعة صباحاً جلست امام المرأة

تأملت ملامحي بحبٍ وأنا أكرر في ذهني "هل يستحقُّ أنوثتي أحدٌ

سواي"

لمحمود درويش الذي لطالما كان له النصيب الأكبر من وقتي فكنت

اغفو على صوته وانقشُ كلماته في ذهني حرفاً حرفاً...

ارتديت ثياباً يكثرُ فيها اللون البرتقالي

و وضعت العطر

خرجت من البيت وسرتُ نحو حلمي خطوةً بخطوة، وضعت
سماعات الأذن وماجدة الرومي تؤنس طريقي
ها هو سليمان ذو القميص الأبيض مفعم الكاريزما
يتأمل خطاي ببسمةٍ جذابةٍ بعيدة عن ستار اللغة الكاذب
يحادثني بعيناه التي أخذ منها لون البُنِّ متعمِّداً إغراء الشعراء كي
يكتبوا فيه قصائدً وقصائد

_ كيف حالك الآن ؟

_ بخير

_ هل تأخرت عليك؟

مريم، انتظرك

فيسير الوقت على قلبي

الفاك

فأتسابق أنا والوقت

من سيأخذك

_ ضحكت حتى هرعت الفراشات لتتأمل ضحكتها، أحبك، وأحب
هدوئك وعيناك الناعسة، هيا الآن أيها المشاغب لندخل

كان المقهى مُشَبَّعٌ بتفاصيل الشام القديمة مليء برائحة القهوة والياسمين، جلس كلُّ منا على كرسيٍّ خشبيٍّ يحتضن بعيناه الآخر وكانت فيروز تتربع بصوتها على عرش الصباح الدمشقيّ تزرع الياسمين في عروق العاشقين لتُنْبِتَ في كل ركنٍ مقطوعةً يطرب لها القلب قبل الأذن وكأنها تمحو الضباب لتهيئ الأرض لإشراقه جديدة مفعمة بشغف البدايات مليئة بشدو العصافير وألوان الربيع....

"نحن والقمر جيران"

"فعلاً جيران"

ضحكتُ وضحكٌ قلبي لها

_ كم احبّك

_ أتعلم يا سليمان... ظننتُ أنّك عابِرٌ ككلِّ شرقيٍّ مُسِيرٍ، كصيّادٍ يعشق أدوار البطولة.

ينجذبُ لكلِّ مُتاحةٍ سطحيّةٍ رفعتُ عن ساقها ورداً فانقادتُ نفسٌ لا تعرفُ إلاّ الجمالَ إليها.

فكانت سجينَةً في قفصِ الخزعلاتِ وأشلاءِ الذاكرة، ليأتي آخرٌ ويفتحُ لها أبوابَ الهوى كي تُوسرَ بشباكٍ آخرٍ لا مخرجَ منه سوى "العقلانيّة"
_ وأنتَ... لم تكن كعابِرٍ ولم تكن يوسُف.

بل كنتَ كبيتِ ريفيٍّ دافئٍ... بسيطٌ عاديٌّ كنتَ، فواخُ بالياسمينِ والقهوة

...

أمسكت يدها، قبلتها ومن ثم حضنتها بقوة متأمل بتلك الملامح اللطيفة الهادئة

مسحت بيدي على جبينها وكأنني أبعد عنها عبئ السنين الماضية،
أحاكي حمرة وجنتيها التي تكاد أن تَقْطُرَ نبيذاً حُلُوهُ مُسَكَّرٌ يُشفي الروح

...

كانت تحدثني عن صديق أبيها الذي توفي في حادث سير هو وابنته
الوحيدة وتحدثني عن مشاريعها عند انتهائها من السنة الرابعة وأنا
كلي عيون ناظرة لما تملكه من تفاصيل ساحرة تجعل مني إنساناً
يعشق التفاصيل وينسى الأحاديث.

قاطع حديثها صوت رنين الهاتف...

_ بخير وأنتِ

_ نصف ساعة يا أمي

_ نعم سأخبره

_ وداعاً حبيبتي

_ من؟

_ أمي تريد منا الحضور لتناول الغداء

"والله يا ريت بس لازم إبدأ بالشغل"

_ ومتى سألقاك مجدداً؟

_ على الأرجح سأنتهي المساء وفي حال انتهائي سوف أصعد لزيارتكم

_ انشاء الله

لم أكن قادرة على توديعه كما يجب فالنظرات كانت تأسر رغباتنا
خلف قضبان فولاذية محكومة الإغلاق، فتولت عيوننا هذه المهمة
بعيداً عن اللغة

_أحبك يا مريم
_وانا أحبك
أمسكت يدها بقوة وقبلتها وأنا أنظر إلى عيناها، في هذه اللحظة كان
في داخلي ألف شعورٍ لا أستطيع وصفه، كنتُ غير مُرتاحٍ أبداً،
مُتشتتٌ خائفٌ من رحيل مريم، خائفٌ من كلِّ شيءٍ ولا أدري لماذا
وما سبب هذا الشعور...
_إذا ألقاكِ مساءً
_وداعاً

ذهبت مريم إلى المنزل، وانا كنت في طريقي إلى السوق لشراء
بعض اللوازم للبيت
مع رنين الهاتف...
_يا أهلاً بمن أتى ولم يخبر أحد
_ضحك..يا أهلاً يا أهلاً
_أين أنت الآن؟
_في السوق يا صاح
_إذا لا تنسى شراء الضيافة فسوف أزورك المساء ومع صديقي
بدون تردد وأعدار قادمون لا محالة
_انتظرك المساء أيها اللعين كم اشتاقك
_ألقاك يا أخي
_ألقاك

وصل صديقي وحده، لم يأتي أحد معه
_ اه كم اشتقت لك أيها الوغد
_ أخي أنت يا محمد كنت دائماً تخطر ببالي
_ أيها الكاذب بضحكة تتبع من قلب اشتاق الوصال
_ هيا ادخل ادخل لدي الكثير من الأخبار
"ضحك.. ضحك"

_ هيا هيا اجلب القهوة
_ هيا انا انتظرك، اريد أن أعلم كل شيء عنك، وإذ كنت قد استمررت
بالكتابة ام لا، بضحكة خفيفة يا كاتبنا العظيم
_ اه الى متى اعدتني، منذ زمنٍ بعيد لم أكتب، ولكن أعدك بأن أعود
للكتابة

" في وقت اخر "

لم تخبرني أنك كاتبٌ؟
_ نعم كنت اكتب وأنا صغير وفي مرحلة الشباب ثم امتنعت عنها قبل
ان أغادر البلاد بفترة قصيرة
_ حسنا، اكمل الآن
_ إلى أين وصلنا؟
_ الى أعدك بأن أعود للكتابة

"ضحك... ضحك"

_ هيا سأنادي أمي فليس هناك شخصٌ يعدها أعظم منها
-اهُ والف اه، أيام كانت خالتي أم سليمان تكرمنا بالقهوة وبعض
الحلويات من صنع أناملها، اه من غضبها اتذكر حين طردتنا ونحن
صغار لأننا نلوث الأرض بضحكة حزينة ممزوجة بالشوق والحنين
ليتبعتها قائلاً : رحمة الله عليك يا خالتي أم سليمان
_ ماذا تقول؟

"الله يطول بعمرها"

كيف تسمح لنفسك بقول ان أمي قد ماتت

ها هي بالداخل سأنادي لها

"امي... امي.. امي"

-اين الرد يا سليمان؟

_ اظنها سعدت لمريم

-سليمان، انها ليست موجودة، نعم أعلم أنها تأثر بك الى الآن، لكن يا

صديقي هذه الحياة

_ ما بك أيها الأحمق؟

انتظرنى قليلاً لأثبت لك صحة كلامي

-حسنًا، أهدأ قليلاً سأنتظرك لكن تذكر يا سليمان تذكر

_ ذهبت مسرعاً إلى مريم، اصعد بسرعة كبيرة ممزوجة بالخوف

والتشتت

"طريقة... طرقتان... ثلاث... طرقتان.. طريقة"

-اهلا يا جار الحمد لله على سلامتك

_ أين مريم؟

-من مريم يا بني ليس هناك أحد بهذا الاسم هنا

_ هل تعلم إذاً إلى أين انتقلوا؟

-لا يوجد من كان يسكن هنا قبلنا يا بني فهذا البيت لي ولم أمكث به

لكنني عدت منذ يومين له، لكن حسنا اذ رأيتها سأخبرها عنك هل

تستطيع وصفها لي؟

-متوسطة الطول بشرتها بيضاء كأول الثلج، ووجنتيها تحمر إذ لامسها

هواءً عابر من شدة رققتها، وضحكتها كالفجر أول الصباح،

وحزنها أقسى من عذاب ضمير المؤمن، ووجوها فإن البدر يتجول

بيننا، وشعرها فإن ليلٍ ليسَ حالِكٌ كشعرها، وشفاتها ك...

_ توقف يا بني، لم أكن أقصد بهذه الدقة، لكن يا بني لم أشاهد أحدا هنا

بهذه المواصفات من قبل، ولكن ان رأيتها سأخبرك

-شكرا لك

انزل مطمئن البال إلى أن صدحت فكرة في راسي تعيدني: كيف لم

يسكن أحد والبارحة كنت هناك

هناك شيءٌ خاطئ، أين الجميع

-ما بك يا سليمان؟

_ البارحة كنت مع مريم واليوم كنت معها والآن أنا لا أجدها

" الوقت الحالي "

لما توقفت، اكمل كلي أذان صاغية
_ انتهى بي المطاف هنا وأنا أخبرك عن مريم وأمي وكل ما فعلته
بماضيّ البعيد ، ولكن أنا لست مثل أمي يا دكتورة
-خرساء الاساور
-ماذا؟

_ إن والدتك من كان يقال عنها خرساء الاساور لأنها كانت ممثلة
الجسد ومهوسة بالذهب، لكن قبل وفاتها أصبحت نحيفة الخصر بسبب
امتناعها عن الطعام
_ مهلاً؟

-ورق العنب، اللون البرتقالي، محمود درويش، إنها اشياك المفضلة يا
سليمان
-كيف علمت ذلك؟
أنا من أخبرتها

تمت

الفصل الثالث

الحقيقة

"كنت وحيداً، جعلتك تغني.
كنت هادئاً، جعلتك تخبرني قصصاً طويلة
لم يعلم احدٌ بها من أنت،
لكنهم يعلمون الآن"

جلال الدين الرومي

"قبل ساعة من الأحداث السابقة"

"عيادة الدكتورة ليلى للأمراض النفسية و العقلية"

_ماذا؟

ما به، ضعه على السرير
-شكراً لك، توقفي إنه بخير لقد اغميه عليه وسيصبح جيداً بعد قليل
لكن أريد التحدث معك من أجله
-حسناً تفضل

_أنا محمد صديق سليمان، بدأت القصة عندما ذهبت له اليوم وبدأ
بالتحدث عن أمه ومريم
-إذاً ما المشكلة؟

_لم يجد مريم، وأما عن والدته فإنها ليست موجودة
كيف علمت أنه لم يجد مريم؟

_بعد أن وجدته سعدت لبيت مريم كما كان يزعم ولم أجد احد بهذا
الاسم، إنها ليست موجودة يا دكتورة
-كيف؟ أكمل أكمل بكل ما تعرفه

_أنا لا أعلم عن مريم شيء، لكن كانت خالتي ام سليمان من أجمل
النساء في عصرها، فأنها تهوى الجمال ومستحضرات التجميل وفي
فترة من الفترات كانت تعرف بخرساء الأساور لأنها كانت ممتلئة
الجسد ومهوسة بالذهب الى حد كبير، لكن بعد فترة من الزمن امتنعت

عن الطعام إلى أن أصبحت نحيلة الخصر، كنا نظن جميعاً بأنها تعافت
وبدأت بتغيير كل شيء لكن
لكن ماذا؟

لقد انتحرت، نعم لا تنظري لي باستغراب نعم انتحرت، وبعد ذلك لم
نشاهد سليمان لفترة طويلة فقد كان متعلقاً بها بشدة، لكنه غادر البلاد
لاحقاً، وعندما اتى وجدته هكذا
هل تعلم بالأشياء الذي يحبها؟

نعم، إنه يحب اللون البرتقالي والارجواني، والفودكا وورق العنب،
ومحمود درويش وعمرو دياب هذا ما اذكره، لكنني تذكرت شيء آخر
ماذا؟

لقد وجدت في منزله باقة من الورد يطغها اللون الأرجواني ،
وقلادتان
حسناً، لنتظر نهوض سليمان إذاً؛ يجب ان أتكلم معه

محمد من أتى بك إلى هنا وأخبرني بكل شيء عنك ، سليمان أنت
مصاب "باضطراب تعدد الشخصيات"
والدتك، مريم، الرجل العجوز، فينوس؛ الجميع كنت أنت، ولكن لا

تقلق إنه مرضٌ كأي مرض، ستكون بخير أعدك بهذا
_ماذا؟ كيف؟
_لا تقلق، أنت ذكي جداً، وبفضل ذكائك اقتربت من الحقيقة، لكن
يجب علينا مراقبتك وعلاجك بأن لا تستخدم ذكائك بشيء آخر
-ما تقصدين بهذا الكلام؟
_إن النوع هذه من الأمراض يجعل المريض يكون شخصيات في
عالمه ويتعامل معهم بشكل طبيعي، لكن هناك بعض الحالات تكون
الشخصيات سيئة لأنها تدفع المريض إلى أن يؤذي نفسه أو كل من
حوله، ولكن حالتك مختلفة تماماً لأنك كونت شخصية كانت موجودة
فعالاً وتحبها، وأما عن باقي الشخصيات فلقد استطعت التعامل معهم
بفضل ذكائك
-حسناً إذاً، أنا موافق.

"مستشفى الأمراض النفسية والعقلية"

إذا ها أنا هنا.. والسؤال ذاته يتكرر، من أنا؟ أين الحقيقة؟

"بعد مده من الزمن"

_ألف الحمد لله على سلامتكم، لا نريد ان نشاهدك مرة ثانية رغم أننا قد أحببناك

-شكراً لك، إذا الآن يا دكتور لن أرى ثانياً الأشخاص الذين أحببتهم ليس كذلك؟

_لماذا؟ صديقك محمد موجود

-إنه موجود بكل الحالات

_سليمان، المهندس سليمان، الكاتب سليمان، استمع لي جيداً، أهم من

العلاج والأدوية والجلسات أنك علمت بمرضك وتغلبت عليه وأنا

واثق إذا ظهر ثانيةً ستتغلب عليه، وقد علمت من المعالجين بأنك كنت

تكتب في آخر أوقاتك هنا، لذا استمر

-شكراً لك يا دكتور سأستمر انشاء لله، لكن اريد ان أسألك سؤالاً، أنا

لو توقفت عن تناول الأدوية ما لذي قد يحدث؟

_لا شيء، التهيؤات ستعود ثانية، ولكن من يعلم من سيظهر هذه المرة

"-الله يستر"

_مع السلامة

-الحمد لله على سلامتكم يا أخي

_الله يسلمك يا محمد، انا أريد أن اعترف لك بشيء، أنا كنت قبل انظر

لك بصورة ليست جيدة
-خير يا سليمان
_ أخبرك لكن لا تنزعج مني
تكلم
_ كنت أراك وغد
-لماذا سأنزعج، أنت صديقي منذ الصغر لذلك لا شك بأن اخذ بعض
من صفاتك
"ضحك.. ضحك"
_ أريد أن اجلب بعض الزهور والذهاب إلى قبر امي أريد أن أتكلم
معها قليلاً
-حسناً، سأوصلك

_ الله يرحمك يا أمي، ها أنا سليمان، أنا حين تعالجت رأيت أمور لم
أكن أريد ان أراها، رأيت الحقيقة يا أمي، كنت أظن ان الجميع لا
يتمنون لي الخير واني الوحيد الذي لم يذق طعم السعادة ، لكن الحقيقة
هي أن الجميع لا يتمنون الخير لأحد حتى أنفسهم لا يتمنون لها الخير،
وإن الجميع هنا يبحث عن السعادة ولا يجدها، لا أحد يبتسم هنا، لقد
كنت بعالم خارج هذا العالم، عالم تمنيت لو لم اهرب منه، أنا يا أمي
مسجون، نعم مسجون خلف قضبان الظلام والظلم، ظالم او مظلوم لم
يعد يهم، فأنا بكلتا الحالات مسجون، وها قد حان وقت الوداع، وداع
ليس بوداع، صمت دموي، يكتب شعوري لملاقاتك، اشتقت لك جداً

"بعد ثلاثة أشهر"

الواحد والعشرون من الشهر الثامن

(إعلان: تعلن دار النشر عن حفل توقيع كتاب "عالمي" للكاتب
سليمان)

إنها بصمتي الأولى في عالم الأدب، حضر الجميع هنا، بعض
الأصدقاء والمعارف، بعض المثقفين والأدباء، بعض العاشقين
والشعراء

"وَضَعْتِي الْأَمَانِي الْمُخْمَلِيَّةَ فِي رَكْنٍ يَتَبَلُورُ حَوْلَ الْأَكْوَانِ الرَّوْحِيَّةِ فِي
زَوَايَا مَلُؤَهَا الْهَذْيَانُ بَعِيداً عَنِ الْوَاقِعِيَّةِ فِي صَحْبَةِ الْكُونِ فِي صَحْبَةِ
الْخَالِقِ فِي صَحْبَةِ الرُّوحِ بَعِيداً عَنِ جَسَدِي الْأَثِيرِيِّ فِي صَحْبَةِ الْمَلْزَمَانِ
وَاللَّامِكَانِ

يَسْتَثِيرُنِي حَسَ الرُّضَى لِنَقْشِ أَبْجَدِيَّتِي.

مبعثرة هي حروفي في اوراق بيضاء بقلم برتقالي اللون
تترتب الكلمات عند استحضار وجهك في ذهني في مخيلة الزمان
والمكان والحياة

بعيداً عن الروحانيات بالقرب من العالم الهش مدهوق المحاسن
والمساوئ

العالم المليء بضجيج الناس بعيداً عن وحدانية الخالق بعيداً عن ذنوبات
الروح"

بعد أن انتهيت من إلقاء كلمتي بدأت بتوقيع الكتاب

_بالتوفيق يا سليمان، خطوة جميلة
-شكراً لك

-بالتوفيق يا سليمان، فخورة بك جداً
-شكراً لك دكتورة ليلى

مهلاً؟ مريم؟
ماذا؟ الدكتورة ليلى أيضاً مريضة
يا إلهي ماذا يحدث كلاهما ليستا حقيقتان
أصبحت أشك بأنني لست موجود هنا

_ مساء الخير أستاذ سليمان
لماذا لا تجيب؟
حسناً، أنا كنت أريد تهنئتك بهذا الإنجاز، ليوفقك الله
-انت حقيقة؟

_ ماذا؟ بالطبع انا حقيقة بضحكة خفيفة أنارت عالمي
-اعتذر، اعتذر يا مريم، هل نحن قد التقينا من قبل؟
_ اسمي ليس مريم، أنا سيلينا، نعم، كنا نساكن في العمارة ذاتها يوماً
ما، وقد تقابلنا عندما قرر سكان العمارة الصعود للسطح لنتعرف على
بعضنا البعض في بداية المساء، ولكنك لم تتحدث ابداً، لقد اثرت
فضولي حينها، وغادرنا نحن بعد فترة من الزمن، هل أزعجتك
بشيء؟
-لا طبعاً مريم، اقصد سيلينا لكنني اريد ان اخبرك بشيء
_ سأستمع لك للأبد
-إنها حكاية غريبة قليلاً لكن
_ تكلم انا اسمعك
-انت عالمي و انا أحبك

تمت



نورا معروف

قيس ابو شاهيين

هل تخيلت يوم ان يكون عالمك خارج العالم؟
عالم لا تستطيع الهرب منه